الجثة الحية

دراما في ستة فصول واثنتي عشرة لوحة

١٩٠٤

فيدور فاسيليفيتش بروتا سوف
ليزا ، زوجته
ميشا ، ابنهما
آنا بافلوفنا راحمانوفا ، أم ليزا
ساشا ، أخت ليزا
آنا دميتريفنا كارينين
فيكتور ميخايلوفيتش كارينين ، ابنها
الأمير سيرج ابريسكوف
افريموف
ستاهوف
بوتكفيتش — أصدقاء فيديا
كوروتكوف
ايفان بيتروفيتش الكسندروف
بيتوشكوف
الغجري ، ايفان ماكاروفيتش
ناستازيا ايفانوفنا ، زوجته
ماشا ، ابنتهما
آرتمييف
قاضي التحقيق
بيتروشين : محام
غجر ، موسيقيون ، ضباط
محامون عامون في قصر العدل
خدم الخ

الفصل الأول

اللوحة الأولى

« شقّة بروتاسوف ، في بطرسبرج ، صالة طعام صغيرة » .

المشهد — ١ —

« آنا بافلوفنا ، المرضع » .

« آنا بافلوفنا ، سيّدة مسنّة ، على شيء من القوة ، بيضاء الشعر . تجلس وحدها وتتناول الشاي ، والسماور على الطاولة . تدخل المرضع وفي يدها غلاّية » .

المرضع : أيمكنني أن أطلب منكِ شيئاً من الماء للشاي ؟

آنا بافلوفنا : طبعاً ، خذي . وكيف حالُ الطفل ؟

المرضع : هو مضطرب جداً ، من غير شك . ماذا تريدين ! عندما تُرضع الأمهات أطفالهن بأنفسهن ، فلا بدّ أن تكون الأمورُ هكذا دائماً . الأم لها همومها والطفلُ يُعاني منها . وكيف يكون الحليبُ سليماً إذا كانت السيدة لا تنامُ الليل ولا تكفّ عن البكاء ؟

أنا بافلوفنا : لكنْ ، ألم تغدُ أكثر هدوءاً الآن ؟

المرضع : أوه ! الهدوءُ بعيدٌ عنها ! منظرهُا يُرثى له ! منذ هنيهة أخذت تبكي وهي تكتب .

المشهد — ٢ —

« المرأتان وساشا » .

ساشا ، داخلة ، للمرضع : ليزا تناديك .

المرضع : أنا ذاهبة إليها ، أنا ذاهبة إليها .

(تخرج)

آنا بافلوفنا : قالت لي المرضع : إن ليزا لا تكفّ عن البكاء . فمتى سنراها هادئةً من جديد ؟

ساشا : أنت غريبة ! يا ماما ! لقد انفصلتْ قبل حين عن زوجها ، والد ابنها . . . وتريدينها هادئة ؟ . . .

آنا بافلوفنا : ليس هذا ما عَنَيْتُه . . . لكن ما كان قد كان . . . وإذا كنتُ ، وأنا أمّها ، لم أوافق فقط أن تترك ابنتي زوجها ، بل كنت سعيدة أيضاً بذلك ، فلأنه يستحقّ ذلك الترك ويجب ألاّ تحزن ، بل على العكس يجب أن تفرح ، لأنها تخلّصت من مثل هذا الزوج السيّء ... من مثل هذا الكنز !

ساشا : لمَ تتكلّمين هكذا ، يا ماما ! أنتِ تعلمين أن هذه ليست الحقيقة . و « فيديا » ليس زوجاً سيئاً ، على العكس ! إنه رجلٌ مدهشٌ ، رائع بالرغم من جميع عيوبه .

آنا بافلوفنا : مدهشٌ ، بالفعل . فما أن يقع المالُ بين يديه ، سواء أكان ماله أم مال الآخرين . . .

ساشا : هو لم يمسّ مال الآخرين قط . . .

آنا بافلوفنا : لا فرق ! . . . مال امرأته ! . . .

ساشا : لكن بما أنه تنازل عن ثروته كلها لامرأته . . .

آنا بافلوفنا : كان مضطراً لأن يفعل ذلك ، لأنه كان يعلم أنه سيبدّدها كلها . . . كانت ستَضيعُ كلها من يديه .

ساشا : بدَّدها أم لم يبدّدها . . . أقول إن المرأة لا يجب أن تنفصل عن زوجها ، ولا سيما عن زوج مثل فيديا .

آنا بافلوفنا : إذن ، برأيك أنه كان يجب الإنتظار حتى يبدّد كل ثروته ، وحتى يأتي إلى المنزل بعشيقاته الغجريات ؟

ساشا : ليس له عشيقات . . .

آنا بافلوفنا : من المؤلم أنكن جميعاً ، ما عداي ، قد خضعتنّ لسحره . أما أنا فإني أعرفه وهو يعلم ذلك . لو كنت مكان ليزا لتركته قبل سنة ، لا الآن .

ساشا : بأي ابتهاج تَحكين عن ذلك ! . . .

آنا بافلوفنا : بابتهاج ؟ . . . أبداً ، صدّقيني . ومن الشاقّ على الأم أن ترى ابنتها مطلّقة . لكنْ أليس كل شيء أفضل من أن تتحطّم حياتُها الفتيةُ ؟ ولذلك أحمد الله على أن ليزا صمّمت في نهاية الأمر ، وأن كل شيء قد انتهى .

ساشا : لعل كل شيء لم ينتهِ بعد . . .

آنا بافلوفنا : بشرط أن يوافق على الطلاق !

ساشا : وما الفائدة من ذلك ؟

آنا بافلوفنا : ما الفائدة من ذلك ؟ الفائدة أنه سيكون من الممكن ، باعتبارها شابة ، أن تَبني حياتها من جديد .

ساشا : اوه ! ماما ، كيف يجوز لك أن تقولي هذا ؟ يااللفظاعة ! لا ، لن تحبّ ليزا رجلاً آخر !

آنا بافلوفنا : ولماذا ، بما أنها ستغدو حرّةً ؟ إن الكثير من طالبي الزواج ، ممّن هم أفضل ألف مرة من فيديا ، سيعتبرون أنفسهم سعداء بأن يتزوّجوا منها .

ساشا : اوه ! كيف يجوزُ لكِ أن تتكلّمي هكذا ، يا أمي ! أعلمُ أنك تفكّرين في فكتور كارينين .

آنا بافلوفنا : بالطبع أفكّر فيه . إنه يحب ليزا منذ عشر سنوات ، وهي تبادلُه هذا الحبَّ !

ساشا : نعم ، إنها تحبه ؛ لكن لا لتتزوّج منه . إنها صداقة الطفولة .

آنا بافلوفنا : نحن أدرى بهذا النوع من الصداقة . . . لكن إذا لم يكن بينهما عائق . . .

(تدخل الخادمة) .

المشهد — ٣ —

« آنا بافلوفنا ، ساشا ، الخادمة » .

آنا بافلوفنا : ما الأمر ؟

الخادمة : أرسلتْ السيدةُ مع أحد الخدم رسالة إلى فيكتور ميخايلوفيتش فبعث يقول : إنه سيأتي بعد لحظة .

آنا بافلوفنا ، مندهشة : عجباً ! في اللحظة ذاتها التي كنا نتحدث فيها عنه ! لا أعلم لمَ استدعتْه . (لساشا) . وأنتِ ، أتعلمين ذلك ؟

ساشا : أعلم ذلك . . . أو لا أعلمه .

آنا بافلوفنا : بينكما أسرارٌ دائماً ؟

ساشا : ليزا ستأتي ، وستُخْبرك .

آنا بافلوفنا ، هازّةً رأسها ، للخادمة : يجبُ تسخينُ السماور . خذيه ، يا دونياشا .

(تأخذ الخادمةُ السماور وتخرج) .

آنا بافلوفنا ، لساشا التي نهضت وتهيّأت للخروج : أرأيتِ ، الحقُّ معي ، أرسلتْ فوراً تستدعيه .

ساشا : نعم ، لكنْ لعل ذلك لشيءٍ آخر ؟

آنا بافلوفنا : لأي سبب إذن ؟

ساشا : لكنها لا تهتمّ الآن بكارينين أكثر مما تهتم بالمرضع العجوز .

آنا بافلوفنا : سنرى ؛ إني أعرفها ، فاذا كانت تطلب حضوره فذلك لأنها تَشْعر بالحاجة إلى العزاء .

ساشا : آه ! ماما ، ما أسوأ معرفتك بها إذا كنتِ تظنين . . .

آنا بافلوفنا : سترينْ . . . على كل حال أؤكّد لك أنني جدُّ مسرورة .

ساشا : حسناً ! لِننتظرْ .

(تخرج وهي تدندن) .

آنا بافلوفنا ، وحدها ، هازّة رأسها : هذا حسنٌ . . . كل شيء يسير سيراً حسناً . نعم . . .

المشهد – ٥ –

« آنا بافلوفنا ، الخادمة ، ثم فيكتوركارينين » .

الخادمة ، داخلةً : وصَلَ فيكتور ميخايلوفيتش .

آنا بافلوفنا : حسناً ! أدْخليه ، وأخبري السيدة .

(تخرج الخادمة من الباب الذي يؤدّي إلى الشقّة) .

كارينين ، داخلاً وحيّياً آنا بافلوفنا: أرسلتْ إلي اليزا فيتا اندريفنا بطاقة ترجوني فيها المجيء ؛ وقد سُررتُ كثيراً بذلك ، ولا سيّما أني كنتُ عازماً على المجيء هذا المساء . أرجو أن تكون صحة اليزافيتا اندريفنا حسنة !

آنا بافلوفنا : أجلْ ،صحتُها حسنة ، وستأتي على الفور ؛ لكن الطفل هو المتوجّع قليلا . (بحزن) اوه ! لقينا الكثير من المشقات . . . على كل حال أنت تعرف كل شيء ؟ .

كارينين : نعم ، كنتُ حاضراً أمس الأول ،عندما وصلتْ رسالتُه . . . لكن هل هذا نهائيٌّ حقا ؟

آنا بافلوفنا : نعم ، بالتأكيد ! فمن المؤلم جداً معاناة هذه الأحزان من جديد .

كارينين : تعرفين المثل : « يجب أن نقيس سبع مرات قبل أننقطع ...» وخصوصاً هنا حيث يجب القطعُ في اللحم الحي .

آنا بافلوفنا : صحيح ، لكن بما أن وحدتهما كانت متفككة منذ زمن بعيد، فقد حدثَ التمزّق بصورة طبيعية . فيديا ذاتُه يعترف أن من المستحيل عليه التراجع بعد أن جرى ما جرى .

كارينين : ولماذا ؟

آنا بافلوفنا : وكيف يمكنه ذلك بعد كل تلك النذالات ؟ لقد أقسم انه إن عاد إلى حياة التهتّك فهو مستعد للتنازل عن جميع حقوق الزوج ، ولإعادة الحرية الكاملة إلى زوجته .

كارينين : لكن ، ما معنى حُرية المرأة التي ارتبطت بالزواج ؟

آنا بافلوفنا : والطلاق ؟ . . . وَعَدَ بالطلاق ونحن نصرّ على أن يفي بوعده .

كارينين : نعم ، لكن اليزافيتا اندريفنا كانت تحبّه كثيراً .

آنا بافلوفنا : لكنّ حبها أبْلَتْهُ التجاربُ حتى لم يبق منه إلا القليل! كان يَجْمع الرذائلَ كلها : السكرَ والغدر والخيانة . . . أيمكن لامرأةٍ أن تحبّ مثل هذا الزوج ؟ . . .

كارينين : الحبُ قادرٌ على كل شيء .

آنا بافلوفنا : تقول : الحب ! لكن هل يمكن للمرأة أن تحب كائناً ضعيفاً لا تشعر بأية ثقة فيه . إليكَ ماحدَثَ : (تلقي بنظراتها نحو الباب وتسارع إلى الكلام حتى تتسنى لها رواية كل شيء) . كانت أعماله متردّية ، وكانت جميع ممتلكاته مرهونة ، ولم يكن يملك فلساً واحداً ... ولا ما يدفع به الفوائد . حينئذٍ أرسل إليه عمّه ألفي روبل

لدفع تلك الفوائد ، فاذا به يمضي بذلك المال ولا يعود .
وتظل زوجتُه مع ابنها المريض تنتظر . . . وتصل أخيراً رسالةٌ يطلب فيها أن تُرْسَلَ إليه ثيابُه .

كارينين : نعم ، نعم ، أعلم . . .

(تدخل ليزا وساشا) .

المشهد — ٥ —

« آنا بافلوفنا ، ليزا ساشا ، كارينين » .

آنا بافلوفنا : ها إن فيكتور ميخايلوفيتش استجاب لدعوتك .

كارينين : نعم . . . وقد أوقفني بعضُهم قليلاً . . .
(يُحيّي الأختين) .

ليزا : أشكركَ . أنا بحاجة إلى خدمة كبيرة . ومنك وحدك أستطيع أن أطلب ذلك .

كارينين : سأفعل كلَّ ما أستطيعُه .

ليزا : أنتَ على علمٍ بكل شيء ، أليس كذلك ؟

كارينين : نعم ، أعلمُ كل شيء .

آنا بافلوفنا : أنا أدعكما . (لساشا) . لندعْهما وحدهما .

(تخرج هي وساشا) .

المشهد — ٦ —

(ليزا ، كارينين » .

ليزا : نعم ، كتب إلي رسالةً يقول لي فيها : إنه يعتبر كل شيء

منتهياً . (تحبس دموعها بجهد) . وقد جُرِحْتُ كثيراً، كثيراً . . . وبالاختصار قبلتُ فسخ الزواج . . . وأجبته أني قبلت الانفصال .

كارينين : وأنتِ الآن نادمةٌ على ذلك ؟

ليزا : نعم ، أدركتُ أنني أسأتُ التصرف . كلُّ شيء ولا فسخ الزواج . على كل حال ، أتريد أن تسلّمه هذه الرسالة أرجوك ، يا فيكتور ، أعْطِه هذه الكلمة . . . و ... قل لي . . . جِئْني به ! . . .

كارينين : مندهشاً : لكنْ كيف ؟

ليزا : اشرحْ له أني أتوسّل إليه أن ينسى كل شيء وأن يعود ! ... ستقول لي : تستطيعين أن توصلي الرسالة بالبريد ؛ لكنني أعرفُه . ستكون بادرتُه الأولى لطيفةً ، كما كانت دائماً ؛ ثم إنه سيتأثر وسيغيرّ رأيه ، وسيَعْدل عمّا عَزَمَ عليه في بداية الأمر .

كارينين : سأفعل كلّ ما يسعني فعلُه .

ليزا : أنت مندهش لأنني توجهتُ إليك من أجل » .

كارينين : لا ! لكن ، مع ذلك . . . الحقيقة . . . أني مندهش ...

ليزا : ألستَ حاقداً عليّ ؟

كارينين : وهل يمكن أن أحقد عليك من أجل أي شيء ؟

ليزا : إنما توجّهتُ إليك لأنني أعرف حبّك له .

كارينين : له ولكِ . إن حبي كما تعلمين ، لا يبْغي إلا سعادتك ، لا

سعادتي . . . إذن ، أنا أشكركِ لأنكِ وثقْتِ بي . . وسأبذل وسعي .

ليزا : أعلمُ ذلك . وسأقول لكَ كلَّ شيءٍ . كنتُ اليوم عند آل أفريموف لكي أكتشف المكان الذي فيه زوجي . قيل لي إنه ذهب إلى بيوت الغجر . أنا خائفةٌ من هذا الجموح . . . فاذا لم نكبح من هذا الجموح في اللحظة المناسبة ضاعَ الرجلُ . . . ولذلك فان التدخل ضرورةٌ ملحةٌ . . . إذن ، قل لي ، سوف تذهب لإحضاره ، أليس كذلك ؟

كارينين : بكل تأكيد . . . وعلى الفور .

ليزا : امضِ وابحثْ عنه وقلْ له : إني نسيتُ كل شيء وإني أنتظره .

كارينين ، ينهض : لكنْ أين أبحثُ عنه !

ليزا : هو عند الغجر . . . لقد ذهبتُ إلى هناك . . . وصلتُ إلى المدخل ، وكدتُ أعطيه رسالتي ، لكني عزمْتُ ، بعد التفكير ، على أن أطلب منكَ هذه الخدمة الكبيرة . . . وهذا هو العنوان . احملْه على العودة ،وعلى نسيان الماضي ... افعل هذا حباً به وصداقة لنا .

كارينين : سأفعل كل ما هو ممكن .

(يُحيي ويخرج) .

المشهد — ٧ —

« ليزا وحدها ، ثم ساشا » .

ليزا : لا ، لا ، لا أقْدر على ذلك . . . لا . . . . أبداً . . .

ساشا، داخلة : وبعدُ ، هل أرسلتِه ؟ (تومىء ليزا برأسها إيماءة الإيجاب) . وقَبل َ ؟

ليزا : طبعاً . . .

ساشا : ولمَ توجّهتِ إليه ؟ لستُ أفهم . . .

ليزا : وإلى مَنْ غيره كان يمكن أن أتوجّه ؟

ساشا : لكنك تعلمين أنه مُغْرمٌ بكِ ؟

ليزا : لعله كان كذلك فيما مضى ، لكنه لم يعدْ كذلك ... ثم لم يكن لي خيارٌ . أتظنين أن فيديا سيعود ؟

ساشا : أنا واثقة من ذلك ، لأن . . .

المشهد — ٨ —

« ساشا ، ليزا ، آنا بافلوفنا ، تدخل آنا بافلوفنا فتسكت ساشا ».

آنا بافلوفنا : أين فيكتور ميخايلوفيتش ؟

ليزا : لقد ذهبَ .

آنا بافلوفنا : كيف ، ذهب ؟

ليزا : نعم ، طلبتُ منه خدمةً .

آنا بافلوفنا : ما تلك الخدمة ؟ . . . أهي سرٌ أيضاً ؟

ليزا : أبداً لا ! طلبتُ إليه أن يُسلّم بنفسه فيديا رسالتي .

آنا بافلوفنا : كنتُ أظن أن كل علاقة بينكما قطعتْ إلى الأبد . . .

ليزا : لا ، لا أستطيعُ الانفصالَ عنه . . .

آنا بافلوفنا : كيف ؟ كل شيء سيبدأ من جديد ؟

ليزا : لقد حاولتُ ، وبذلت مجهوداً ؛ لا أستطيع ؛ أنا مستعدة لقبول كل شيء بدلاً من أن أترك زوجي .

آنا بافلوفنا : تريدين إذن أن تُرجعيه ؟

ليزا : نعم .

آنا بافلوفنا : تَنْوين أن تُدخلي منزلَك من جديد هذا الكائن الكريه ؟

ليزا : أرجوك ، يا ماما ، ألاّ تتكلّمي هكذا على زوجي .

آنا بافلوفنا : على مَنْ كان زوجك .

ليزا : لا ، على زوجي الآن .

آنا بافلوفنا : مبذّر وسكيرٌ وفاسقٌ ! ولا تستطيعين أن تنفصلي عنه ؟

ليزا : لماذا تعذّبينني ؟ يكفيني ما لقيتُ من الألم . . . كأنك تتعمّدين إزعاجي .

آنا بافلوفنا : آه ! أنا أعذّبك ؟ حسناً ! سأنصرف ؛ ليس بوسعي أن أكون شاهدةً على ذلك كله (تسكت ليزا) آه ! فهمتُ ! أنا أضايقك ، أنا زائدة عن اللزوم ؛ ولست أفهم شيئاً من طريقتك في التصرف ، ومن أساليبك اليوم . . . . فقبل قليل كنت عازمةً على فصم الزواج ، ثم إذا بك تَستقدمين رجلاً يحبّك . . .

ليزا : كلاّ ، أنت مخطئة . . .

آنا بافلوفنا : كيف ، كارينين طاب يدك ، وهو الذي أرسلته ليأتي بزوجك ! . . . ألكي تثيري غَيْرتَه ؟

ليزا : مهلاً ، يا ماما ، يا للفظاعة ! من فضلك ، دعيني !

آنا بافلوفنا : عظيم . اطردي أمك واستبدلي بها زوجك الفاسق . لكنني لن انتظر حتى يعود إلى هنا. الوداع . . . ولْيُباركْكِ الله ! تصرّفي كما يحلو لك .

(تخرج وهي تصفقُ الباب) .

ليزا ، متهالكةً على مقعد : ما كان ينقصُنا سوى هذا ! . . .

ساشا : لا قيمة لذلك ! سيُسَوّى كل شيء . . . لا بد أن ننجح في تهدئة خاطر ماما . . .

آنا بافلوفنا ، ماضية: دونياشا ! . . . حقائبي ! . . .

ساشا ، تابعةً أمها ، موجهةً إلى أختها : ماما ، اصغي إليّ . . .

اللوحة الثانية

غرفة عند الغجر

المشهد — ١ —

« فيديا ، افريموف ، موسيقي ، ضابط ، ماشا ، الغجر ، الجوقة تغني « كون افيلا »(١) . فيديا بالقميص ، مستلق على الأريكة ، على بطنه . افريموف يجلس على الكرسي مفرشحاً تجاه المغنّي الأول في الفرقة . يجلس ضابط قرب الطاولة التي وُضعت عليها زجاجات الشمبانيا والأقداح ، وعند الطاولة نفسها يجلس موسيقي ينقل موسيقا الغجر ويضع علامات موسيقية لها .

---

(١) كون افيلا : أغنية غجرية فرحة .

افريموف : فيديا ، هل نمتَ ؟

فيديا ، ينهض : لا تتكلم . . . والآن ، « لم يكنْ نجمةَ المساء (١) .

غجرية : مستحيلة ، يا فيدور فاسيليفيتش ؛ ستغني الآن ماشا وحدها .

فيديا : ليكنْ ! . . . وبعدها « لم يكن نجمة المساء » .

(يعود إلى الاضطجاع) .

الضابط ، للغجر : « ساعة الموت (٢) !

غجرية ، تخاطب افريموف : أتقبلُ ؟

افريموف : ليكنْ .

الضابط للموسيقي : ماذا ؟ هل نقلتَ اللحنَ ؟

الموسيقي : غريب ! ففي كل مرة تغيِّر المفتاح الموسيقي وتغني بطريقة مختلفة . انظري قليلاً (يري الغجرية ورقته فتنظر إليها) اهذا هو اللحن ؟

الغجرية : نعم ، هذا هو ! . . . ممتاز ! . . .

فيديا ، ناهضاً : لن يُفلح في تسجيل علامات هذه الموسيقا ! . . . أو إذا اتّفق له ونجح في نقل اللحن وأدخله في الاوبرا

---

(١) لم يكن نجمة المساء : أغنية غجرية باكية أولها : « اه لم يكن نجمة المساء ، ذلك الفجر المنطفىء » .

(٢) ساعة الموت : أغنية حب غجرية .

فسيفسدُ كل شيء . . . هيا يا ماشا ، تقدّمي ! . . .
خذي قيثارتك لساعة الموت . (ينهض ويجلس قبالتها ، ويحدّق فيها . ماشا تغني) . مرحى ! آه ! يا لماشا !
والآن : « لم يكن نجمة المساء » .

افريموف : لا ، انتظرْ قليلاً . . . أغنيتي أنا أولاً ، المأتميّة . . .

الضابط : ولِمَ مأتميّة ؟

افريموف : لانني إذا متُّ ، أتفهمُ ، إذا متّ حقاً وسُجّيتُ في نَعْشي . . . عند ذاك سيؤتى بالغجر ، أتفهم ، وسوف أطلب ذلك ، في الوصيّة ، من زوجتي . وفي اللحظة التي سيبدؤون فيها بغناء « شيل مي فيرستا »(١) فسوف أثِبُ من نعشي . . . أرأيت هذا ؟ (للموسيقي) . هذا ما يجب أن تنقله . حسناً ! هيّا ! (يغنّي الغجر) . ماذا ؟ كيف تجد هذا ؟ والآن : « يا فتياني الطيبين » ! .

(يغنيّ الغجر ؛ يخطو افريموف بعض الخطوات الراقصة ؛ يتابع الغجر غناءهم مبتسمين ويصفّقون بأيديهم على ايقاع الغناء . وحين تنتهي الأغنية يجلس افريموف) .

الغجر لأفريموف : مرحى ، يا ميخائيل اندريفيتش ! أنت غجري حقيقي .

فيديا : والآن ، « لم يكن نجمة المساء ! » (يأخذ الغجر في الغناء)

---

(١) شيل مي فيرستا : أغنية غجرية تبدأ على النحو التالي : سرت مائة فرسخ ، أنا الفتى الطيب فلم أجد السعادة في أي مكان .

آه ! ها هي ذي ! أليست عجيبة ؟ . . . إني أتساءل في أي عالم يجري كل ما يُعبِّرُ عنه في هذه الأغنية ؟ وهل هذا جميل ! ولماذا يستطيعُ الإنسان أن يبلغ مثل هذه النَشْوةَ دون أن يتمكن من المحافظة عليها ؟

الموسيقي ، يكتب : نعم ، هذا طريفٌ جداً .

فيديا : لا ، ليس طريفاً ، هذا هو الحقيقي .

افريموف : حسناً ! استريحوا قليلاً الآن .

الموسيقي : هذا بسيط من حيث الموضوع ، لكن الايقاع . . .

فيديا ، يُشير بيده ، يدنو من ماشا ويجلس قربها : اوه ! ماشا ماشا ، كم تهزّين روحي !

ماشا : حسناً ! وماذا طلبتُ منك ؟

فيديا : ماذا ؟ . . . نقوداً ! . . . (يخرج حفنة من القطع النقدية ، من جيبه) . دونكِ النقود : خذي !

(تأخذ ماشا النقود وتدسها في داخل صدرها) .

فيديا ، للغجر : انظروا ! إنها تفتح السماءَ لي ، وهي لا تفكّر بغير الهدايا . . . . . (لماشا) أنّى لك أن تفهمي ما تفعلين !

ماشا : ولمَ لا أفهمُ ؟ ليس ذلك صعباً : إذا أحببْتُ أحداً ، بالغتُ في إرضائه ، وغنّيتُ غناءً أفضل .

فيديا : أنتِ إذن ، تحبينني ؟

ماشا : لا شك .

فيديا : رائع ! (يقبّلها . يخرج الغجر رجالاً ونساءً ، تاركين الأزواج معا ، افريموف مع كلاتيا ، الضابط مع غاشا . يتابع الموسيقيّ كتابة موسيقاه ؛ يَنْقُرْ غجري على قيثارته موسيقا « الفالس ») . لكنني متزوج ، وأنتِ ، أنتِ من الفرقة . . .

ماشا : الفرقة ، لا شك ، أنا منها ، لكن قلبي لي . . . أُحبُّ مَنْ أشاء . . . وأكرهُ الذين لا يعجبونني .

فيديا : آه ! ما أسعدني ! وأنتِ هل أنتِ سعيدة ؟

ماشا : بالتأكيد ! فعندما يكون الزبُنُ لطفاء نتسلّى نحنُ أيضاً !

(يدخل غجري) .

الغجري ، لفيديا : هناك سيّدٌ يسأل عنك .

فيديا : مَنْ ذلك السيد ؟

الغجري : لا أعلم . . . سيدٌ حَسَن الهيئة ، وعليه معطف من فرو السمور . . .

فيديا : سيّد عظيم الشأن ؟ أدْخلْه !

افريموف : مَنْ تراه الذي يبحث عنكَ هنا ؟

فيديا : أنّى لي أن أعلم ! من تراه يهتم بي ؟

المشهد — ٢ —

« الأشخاص أنفسهم . كارينين الذي يدخل وينظر حوله » .

فيديا : عجباً ! فيكتور ! أنت الشخص الذي ما كنت أتوقّع

مجيئه . اخلعْ معطفك . ما الأنباء السارة التي جاءت بك إلى هذا المكان ؟ حسناً ! اجلسْ ، هذه : « لم يكن نجمة المساء » .

كارينين : **أحب أن أحدثك على انفراد ..**

فيديا : عمّ ؟

كارينين : أنا آت من عندك ، كلفتني زوجتك حمل هذه الرسالة ، ثم . . . .

فيديا ، يأخذ الرسالة ، يقرؤها ، يقطّب حاجبيه ، ثم يبتسم برقة : اسمعْ ، يا كارينين ، أتعرف ماذا تحتويه الرسالةُ ؟

كارينين : أعتقد أنني أعرف محتواها وأحب أن أقول لك بهذه المناسبة . . .

فيديا : طيب ! طيب ! لا تتصورْ أني سكران وأنْ لا أشعر بالمسؤولية . . . ربما كنتُ كذلك ، لكنني أرى بوضوح شديد في هذه القضية ! وما الذي كُلِّفتَ قولَه لي ؟

كارينين : طُلبَ إليّ أن ألقاك وأن أقول لك : إنها تنتظرك وترجوك أن تنسى كل شيء وأن تعود .

فيديا ، يُصغي دون أن يقول كلمة ناظراً إلى كارينين في وجهه : لستُ أُدرك مع ذلك لم كنتَ أنتَ . . .

كارينين : ارسلتْني اليزافينا اندريفنا لأبحث عنك وقالت لي . . .

فيديا : نعم .

كارينين : وأنا أتوسل إليك لا باسم زوجتك فقط بل باسمي أيضاً : تعال معي . . . . . .

فيديا : أنتَ خيرٌ مني ! سخيفٌ ما قلتُه . . . فليس من الصعب أن يكون المرءُ خيراً مني . . . أنا بائسٌ ! في حين أنك أنتَ نبيل ، نبيل القلب جداً . ولذلك اتخذتُ قراري . . . ثم ليس هذا هو السبب الحقيقي . . . لا أريد ولا أستطيع ، بكل بساطة . . . ثمّ كيف أعود إلى هناك ؟

كارينين : تعال أولا إلى بيتي . . . وسأنبىءُ بعودتك القريبة ، وغداً . . .

فيديا : وماذا يكون في غدٍ ؟ ستظل أبداً كما هي وسأظلّ كما أنا (يتّجه إلى المائدة ويشرب) . عندما يؤلمك سنّك فالأفضل أن تقتلعه فوراً . كنتُ قد قلتُ لها : إنني إذا لم أفِ بوعدي مرة أخرى ، فينبغي أن تتركني ، ولم أفِ بوعدي . . . فانتهى كلُّ شيء !

كارينين : انتهى بالنسبة إليك ، لا بالنسبة إليها .

فيديا : كيف ، أنتَ الذي يحاول الإبقاءَ على وحدتنا ؟ (يهمّ كارينين بأن يقول شيئاً ، لكن ماشا تدنو في هذه اللحظة ، فيقطع عليه فيديا كلامه) . أتريد أن تستمع إلى ماشا وهي تغني « الكتّان » ؟

(يتجمّع الغجر) .

ماشا ، بصوت خافت : يجب أن نحتفل به . ما اسمُه ؟

فيديا ، ضاحكاً : افعلي ! اسمه فيكتور ميخايلوفيتش . (الغجر يغنون ، كارينين يصغي وهو متضايق جداً ؛ ثم يسأل كم ينبغي أن يعطيها) . أعطها خمسة وعشرين روبلا . (يعطيها كارينين) . ممتاز . والآن ، « الكتان»(١) . (يغنّي الغجر ، ينظر فيديا إلى الجهات كلها) . عجباً . انسلّ كارينين ؟ ... اوه ! لا ردّه الله !

(يبتعد الغجر) .

المشهد — ٣ —

« الأشخاص أنفسهم ، ما عدا كارينين » .

فيديا ، جالساً بجنب ماشا : أتعلمين من هو ؟

ماشا : سمعتُ اسمه .

فيديا : هذا رجلٌ ممتاز . جاء يبحث عني ليردّني إلى بيتي ، إلى زوجتي . إنها تُحبنّي على ما أنا فيه ، يا للجنون ! وانظري ما الذي فعلتُه بحبها !

ماشا : هذا سيّء ! يجب أن تعود إليها ، يجب أن تشفق عليها .

فيديا : أتظنين ذلك واجباً ؟ أنا لا أعتقد ذلك .

ماشا : بالتأكيد ! إذا كنتَ لا تحبّها فلا واجب عليك .

فيديا : كيف تعرفين ذلك ، أنتِ ؟

---

(١) الكتان : أغنية شعبية روسية مرحة .

ماشا : صدقيني أنني أعرف .

فيدبا : قبّليني إذن ! ..... (مختلطاً الفجر) . « الكتان » مرةً أخرى ، وهذه آخر مرة ! (يغني الغجر) . آه ! ما أسعدني ! ما أحلى ألا يصحو الإنسان ! أن يموت هكذا !

ستار

الفصل الثاني

اللوحة الأولى

« في منزل ليزا بعد خمسة عشر يوماً .

المشهد — ١ —

« كارينين ، آنا بافلوفنا ، ساشا ، كارينين وآنا بافلوفنا جالسان في صالة الطعام . تدخل ساشا »

كارينين : ما الخبر ؟

ساشا : قال الطبيب : إن الخطر زال ، بشرط ألاّ يَتَبَرّد . . .

آنا بافلوفنا : لكن ليزا فاقدةٌ قواها .

ساشا ، متابعةً : وقال إنه مصاب بخناق كاذب غير مؤذ (مشيرة إلى السلة) . ما هذا ؟

آنا بافلوفنا : هذا عنب جاء به فيكتور .

كارينين : ألا تريدين أن تذوقيه ؟

ساشا : نعم ، ليزا تحبه كثيراً . لقد غدتْ عصبيةً جداً . . .

كارينين : يا عذراء ! . . . لم تنم طوال ليلتين ، ولم تأكل شيئاً . . .

ساشا ، بابتسامة : لكنكَ ، أنت نفسكَ . . .

كارينين : أوه ! ! أنا « شيءٌ آخر !

(تدخل ليزا والطبيب) .

المشهد — ٢ —

« الأشخاص أنفسهم . ليزا والطبيب » .

الطبيب ، بتعاظم : هذا كل شيء ! . . . غيّروا الكمادة كل نصف ساعة ، إنْ لم يكنْ نائماً . . . وإذا كان نائماً فلا تُزْعجوه . . . . لاتدهنوا حنجرته . واحرصوا على أن تكون الحرارة مناسبة في الغرفة .

ليزا : وإذا أُصيبَ بالاختناق ، مرة أخرى ؟ . . .

الطبيب : غير ممكن ، غير ممكن إطلاقاً ! . . . لكنْ إنْ وقع ذلك فما عليكم إلا العودة إلى الرش وإلى المسحوق . . . مرة صباحاً ومرةً مساءً . سأكتبُ وَصفتي . . .

آنا بافلوفنا : دكتور ؟ . . . ألا تقبل منا فنجان شاي ؟

الطبيب : لا ! شكراً جزيلاً . فالمرضى يطلبونني .

(يجلس إلى الطاولة بينما تأتيه ساشا بورقة وريشة) .

ليزا : ليس هذا خناقاً إذن ، بالتأكيد ؟

الطبيب : اوه ! بكل تأكيد لا .

كارينين ، لليزا : والآن ، خذي قليلاً من الشاي ، أو الأفضل أن تستريحي بسرعة . انظري قليلاً إلى وجهك . .

ليزا : أنا الآن مرتاحة — وذلك بفضلك يا صديقي ، يا صديقي الحقيقي . (تشدّ على يده ، تنهض ساشا وتبتعد وهي متكدّرة) كم أشكركَ !

كارينين : علامَ ، يا إلهي ! . . . لستُ أستحقُّ الشكر ! . . .

ليزا : الذي بقي ليلتين كاملتين دون أن ينام ؟ الذي جاء بهذا الطبيب العظيم من الكلّية ؟

كارينين : أحسنُ مكافأة لي أنّ ميشا نجا من الخطر . . . . وهي ، على الخصوص ، طيبتُك معي .

(يشدّ على يدها من جديد ويضحك حين يرى أنها تركتْ في يده شيئاً من المال) .

ليزا ، مبتسمة : آه ! هذه أجرة الطبيب . . . يضايقني دائماً أن أدفع للطبيب أجرته .

كارينين : ويضايقني أنا أيضاً . . .

آنا بافلوفنا : ما الموضوع ؟ ماذا يضايقكما ؟

ليزا : أن أعطي الطبيبَ أجرته ؛ إنه يُنقذ لي مَنْ هو أغلى من حياتي ، وأعطيه في مقابل ذلك بعض القطع النقدية ؛ هذا يضايقني .

آنا بافلوفنا : هاتي ، سأعطيه أنا أجرته . . . أنا أُحسنُ القيام بهذه المهمة . . . الأمر جدُّ بسيط !

الطبيب ، ينهض ويُناولها وصفته : هذا المسحوق إذن في ملعقة من الماء المغلي ، وحرّكيه جيداً و . . .

(يتابع كلامه ، كارينين قرب الطاولة يشرب الشاي . تنزل آنا بافلوفنا وساشا إلى مقدّمة المسرح) .

ساشا : أشمئزّ عندما أراهما معاً ! كأنها مغرمةٌ به !

آنا بافلوفنا : أما أنا فلا يدهشني ذلك .

ساشا : هذا مُقْرِفٌ ! . . .

المشهد — ٣ —

« ليزا ، كارنيين ، ساشا » .

ليزا : يا لمجنوني المسكين ! . . . ما ألطفه ! . . . ما ان تحسّن قليلاً حتى عاد إلى الابتسام والتثاؤب . . . سأعود إليه ... سأترككما على مضض .

كارينين : لكن خذي على الأقل فنجان شاي ؛ كُلي شيئاً .

ليزا : اوه ! لست بحاجة إلى شيء الآن ، أحسّ أنني أعود إلى الحياة ، بعد كل ذلك القلق . . .

كارينين : أنتِ تَرَيْن الحالةَ العصبية التي وصلتِ إليها ! . . .

ليزا : لا ، أنا سعيدة ! . . . أتريد أن ترى المريض الصغير ؟

كارينين : بالتأكيد . . .

ليزا : اتبعْني إذن .

(يخرجان) .

المشهد — ٤ —

« آنا بافلوفنا ، ساشا ؛ ثم ليزا وكارينين » .

آنا بافلوفنا ، عائدةً إلى الغرفة ، ومخاطبةً ساشا : لم هذا التجهّم ؟ لقد دسست المال برفق في يده فأخذه دون تردد . . .

ساشا : هذا مشين ! . . . أخذَتْه إلى غرفة الطفل كأنه زوجها أو خطيبها .

آنا بافلوفنا : ماذا يضيرُك من هذا ؟ لم تَظْهرين بهذا المظهر ؟ لعلك تنوين الزواج منه ؟

ساشا : أنا ، أتزوج هذا الطويل ! لم يَخْطرْ لي ذلك ببال ! أتزوّج من أي شخصٍ كان ولا أتزوجه ! لكنّ الذي يثير اشمئزازي هو أن أراها تتعلق بغريب هذا التعلّقَ بعد حبّها لفيديا .

آنا بافلوفنا : غريب ؟ . . . لكنه صديق الطفولة !

ساشا : إن نظراتهما ، والبسمات التي يتبادلانها تشيران بما يكفي إلى أن كلاّ منهما يعشق الآخر . . .

آنا بافلوفنا : وما المدهشُ في ذلك ؟ هذا رجل أدّى لها خدمات كبيرة أثناء مرض ابنها ، وشاركها همومها ، وأبدى عطفه تجاهها . . . وهي ممتنّة له ؛ ثمّ لماذا لا تحب فيكتور ، لماذا لا تتزوّجه ؟

ساشا : لكن ذلك سيكون فظيعاً ! . . . كريهاً ، كريهاً حقاً !

(يعود كارينين وليزا . يُحيّي كارينين المرأتين ويودّع بصمت . تنصرف ساشا وقد استولى عليها الغضبُ الشديد) .

ليزا ، لأمها : لكنْ ، ما بها ؟

آنا بافلوفنا : لا أدري .

(ليزا تتنهّد تنهداً عميقاً) .

اللوحة الثانية

مكتب عمل أفريموف .

المشهد — ١ —

« أفريموف ، فيديا ، ستاهوف ، عظيم اللحية ؛ بوتكيفيتش ، أمرد ، كوروتكوف ، فضولي » .

كوروتكوف : وأنا أقول لكم إنه لن يكون مُجلِّياً . . . أما «حُسناء الغابة(١) » فهي فريدةٌ في أوروبا ! أراهن ! . .

ستاهوف : دَعْنا ، يا شيخ . أنت تعلم أن لاأحد يُصدّقك ، ولا أحد يراهنك . . .

كوروتكوف : أكرّرُ عليك ما قلتُه : إن « بارود » لن يكون مجلّياً !

افريموف : أما آن لكم أن تنتهوا من نقاشكم ! هيا ، اتّفقوا وخذوا رأي فيديا ؛ يمكننا أن نثق به .

فيديا : الجوادان جيّدان ؛ كل شيء يتوقّف على الفارس .

ستاهوف : « غوسيف » نذلٌ . تجب مراقبتُه .

كوروتكوف ، بصوت عالٍ : لا !

فيديا : حسناً ، سأوفّق بينكم . مَنْ الذي ربح السباق ؟

كوروتكوف : نعم ، ربحه مصادفة . لكنْ لا خير فيه . ولو لم يُصَبْ « كراكوس » بالمرض . . . لرأيتَ .

(يُريه الخادم الذي دَخَلَ) .

افريموف : ما الأمر ؟

---

(١) « حسناء الغابة » النائمة : جواد من جياد السباق .

الخادم : جاءت سيدة تطلب رؤية فيدور فاسيليفييتش .

افريموف : مَنْ تلك السيّدة ؟

الخادم : لا أدري ، يا سيدي ، لكنها سيدة حقيقية !

افريموف : فيديا ، ها هنا سيدة تسأل عنك .

فيديا ، خائفاً : مَنْ هي ؟

افريموف : لا أدري .

الخادم : هل ينبغي أن أدخلها ؟

فيديا : لا ، سأذهب لأراها .

(يخرج)

المشهد — ٢ —

« الأشخاص أنفسهم ، ما عدا فيديا » .

كوروتكوف : مَنْ هذه التي تلاحقه ؟ لعلها ماشا الصغيرة ؟

ستاهوف : مَنْ ماشا الصغيرة هذه ؟

كوروتكوف : الغجرية ماشا ؛ جُنّتْ به ؛ إنها مغرمةٌ به كالمرّة !

ستاهوف : وهي فتاة جميلة تغني غناءً رائعاً . . .

افريموف : أعجوبة حقيقية ! . . . تاتيوشا وهي ! . . . غنّتا أمس مع « بيير » !

ستاهوف : يا له من محظوظ ! . . .

أفريموف : لأن النساء يحببنه ؟ باه ! . . .

كوروتكوف : أنا ، أكره الغجريات . . ليس فيهنّ أناقة !

بوتكيفيتش : آه ! لا تقلْ هذا !

كوروتكوف : أنا ، لكني أتنازل عنهنّ جميعا من أجل فرنسية واحدة . . .

افريموف : أوه ! لكنك أنت متذوّق للجمال مشهور ! . . . سأرى مَنْ هي . . .

ستاهوف ، لأفريموف الخارج : إن كانت ماشا فجيءْ بها لتغنّي .

المشهد — ٣ —

« **الأشخاص** أنفسهم ، ماعدا **أفريموف** » .

ستاهوف : اوه ! الغجريات في أيامنا غير اللواتي كنّ في الماضي ! كانت هناك قديماً واحدةٌ . . . تانيا . . . اوه !

بوتكيفيتش : أنا أتصور أن الأشياء ما تزال كما هي .

ستاهوف : كلا ، ليست الأشياء نفسها . فبدلاً من الأغاني القديمة ، هنّ لا يغنّين سوى الأغاني العاطفية المبتذلة .

بوتكيفيتش : اوه ! ما تزال هناك أغان عاطفية جميلة جداً .

كوروتكوف : أتريد أن تراهن ؟ . . . سأدعوهن للغناء أمامك ولن يمكنك أن تقول إن كان ما يغنّينه أغنية عاطفية أم أغنية عادية !

ستاهوف : آه ! من كوروتكوف هذا ، لا بد له من أن يراهن دائماً !

افريموف ، عائداً : يا سادة ، ليست هذه ماشا ، وبما أنه لايمكن الاستقبال إلا في هذه الغرفة ، فسوف ننتقل إلى صالة « البليار » .

(يخرجون . يدخل فيديا وساشا) .

المشهد — ٤ —

« فيديا ، ساشا »

ساشا : فيديا ، اغفرْ لي إن كانت خطوتي كريهة عليك . . . (خجلة) اصغِ إلي ، بجاه الله عليك . (يتهدّج صوتها ، يسير فيديا ذهاباً وإياباً في الغرفة ، تجلس ساشا وتنظر إليه) . فيديا عُدْ إلى بيتك !

فيديا : اصغي ، يا ساشا ، إني أفهمك جيداً . لو كنتُ مكانكِ ، يا ولدي العزيز ، لتصرّفتُ كما تتصرفين ، ولبذلت وسعي كي أصلّح كل شيء . لكنْ لوكنتِ أنتِ مكاني ، بقلبك الحسّاس ، مهما يكن الافتراض غريباً ، لو كنتِ مكاني لتصرّفتِ كما تصرّفتُ ، والذهبتِ حتى لا تكوني عقبة في وجه حياة الآخرين .

ساشا : عقبة ! لكن هل يستطيع ليزا أن تحيا دونك ؟

فيديا : نعم ، يا عزيزتي ساشا ؛ نعم ، يا صغيرتي ! هي تستطيع ذلك ... وستكون أسْعدَ ، أسعد بكثير ، ممّا لو كانت معي !

ساشا : لا ، أبداً !

فيديا : آه ! تتصوّرين ذلك ! . . . (يأخذ يدها) . على أن أشدّ الأمور خطورةً ، فيما عدا ذلك ، هو أنني لا أستطيع . تعلمين أنه يمكننا أن نطوي قطعةً من الكرتون إلى هذه الجهة ثم إلى تلك ؛ تطوينها مائة مرة وهي تقاوم ؛ لكن في المرة الواحدة بعد المائة ستُذعن وستنقطع إلى اثنتين ؛ هذه بالضبط هي الحالة بيني وبين ليزا . فمن المؤلم لي أعظم الألم أن أنظر إليها في عينيها ، وكذلك هي أن تنظر في عيني ، صدّقيني . . .

ساشا : كلا ! كلا !

فيديا : تقولين لا وأنت تعلمين مع ذلك أني على حق !

ساشا : لا أستطيع أن أحكم إلا بحسب نفسي ! لو كنتُ مكانَها ، وأَجَبْتني كما تجيب الآن . . . اوه ! سيكون ذلك فظيعاً ! . . . فظيعاً بالنسبة إليّ ! . . .

فيديا : نعم ، بالنسبة اليك ! . . .

(صمت ثقيل . كلاهما مضطرب) .

ساشا : إذن ستبقى الأمور كما هي الآن !

فيديا : لا بدّ من ذلك .

ساشا : فيديا ، عُدْ إلى بيتك !

فيديا : شكراً لك ، يا ساشا الطيبة . سأحتفظ أبداً بذكرى عزيزة عنك ، وداعاً ، يا عزيزتي الصغيرة ! دعيني أقبلك !

(يقبّلها في جبينها) .

ساشا ، متأثرة جداً : لا ، لن أقول وداعاً ! لا أصدّق . . . لا أستطيع أن أصدق . ... يافيديا !

فيديا : حسناً ! اصغي إذن ؛ لكنْ أقسمي لي ألا تقولي لأحدٍ ما سأقوله لك . أتقسمين ؟

ساشا : اوه ! بالتأكيد !

فيديا : اصغي ، يا ساشا . الحقُّ أنني أنا ، زوجها ووالد ابنها ، لا مكان لي في بيتي . لا ، لا ، لا تقاطعيني . تظنين أنني أغار اوه ! لا إطلاقاً ! فلاحقّ لي في ذلك أولاً . . . ثم إني لا أملك المبرّرات التي تجعلني أغار . . . فيكتور كارينين هو صديقُها القديم — وهو صديقي أيضاً . وهو يحبّها . . . وهي تبادله الحبَّ . . .

ساشا : لا ! . . .

فيديا : بلى ، هي تحبه ، لكن كما تحب الزوجةُ الشريفةُ والفاضلة التي تعتقد أنْ ليس من حقّها أن تحبّ أحداً غير زوجها . ومع ذلك فالواقع أنها تحبه وستحبّه كلّياً ، عندما تزول هذه العقبةُ (يشير إلى نفسه) . ... وسوف أُزيلُ هذه العقبة ، يا ساشا ؛ حينئذٍ يصبحان سعيدين !

(يتهدّج صوتُه) .

ساشا : فيديا ، لا تقلْ هذا !

فيديا : أنتِ تعلمين أن ما أقوله صحيح ! . . . وأنا سأكون سعيداً لسعادتهما . هذا أحسنُ ما يمكن أن أفعله . لن أعود

إلى بيتي ؛ وأنا أعيد إليهما حريتهما . . . قولي لهما ذلك ...
ولا تقولي لي شيئاً ، لا تقولي لي شيئاً ! ووداعاً !

(يقبّل ساشا في جبينها ويفتح لها الباب) .

ساشا : أنا مُعْجَبَةٌ بِكَ ، فيديا .

فيديا : وداعاً ، وداعاً ، يا صغيرتي . (وحده) نعم هذا حسن ، هذا جديرٌ بالإعجاب ! (يدق الجرس ؛ للخادم الذي دخل) . اذهب وادعُ السيد ، أرجوك ... (بينه وبين نفسه) . نعم ، لا بدّ من ذلك .

(يدخل افريموف) .

المشهد — ٥ —

« افريموف ، فيديا » .

فيديا : هيّا نلحق بالآخرين .

افريموف : كيف سُوّيت الأمور ؟

فيديا : كأحسن ماتُسوّى ! (يدندن) . « أقسمتْ لي ، قالت لي(١) . . . أين الآخرون ؟

افريموف : هم هنا ؛ في صالة « البليار » .

فيديا : حسن جداً ! . . . فلنكنْ ، نحن أيضاً ، سعداء .

ستار

---

(١) أقسمت لي ، قالت لي أغنية عاطفية روسية .

الفصل الثالث

اللوحة الأولى

مكتب آنا دميتويفنا ؛ ترفٌ فخم رفيع الذوق ؛ التذكارات في كل جانب .

المشهد — ١ —

« آنا دميتّريفنا ، خادم ؛ ثم الأمير ابريسكوف . آنا دميتّريفنا كارينين ، أم فيكتور ، سيدة كبيرة بلغت الخمسين ، لكنها تتصابى. توشّي حديثها بالعبارات الفرنسية . الأمير ابريسكوف ، ابن ستين أنيق ، عزب ، له شارب فقط ، نموذج الضابط القديم القوي الشخصية، حزين الوجه على نحوٍ غير واضح . عند رفع الستار تكون آنا دميتّريفنا وحدها ، تكتب رسالة . يدخل الخادم .

الخادم ، مُعلناً : الأمير سيرج دميترتريفتش .

آنا دميتّريفنا : أَدْخِلْه .

(تنظر إلى المرآة على عجل) .

الأمير ، داخلاً : أرجو ألا أكون قد خرقتُ الأوامر ؟ . . .

(يلثم يد آنا دميتّريفنا) .

آنا دميتّريفنا : أنت تعلم أنك تأتي دائماً على الرحب والسعة ! . . .

ولا سيّما اليوم ! هل تلقيتَ بطاقتي ؟

الأمير : نعم ، تلقيتّها ، وها أنا ذا .

آنا دميتريفنا : اوه ! يا صديقي . أخذ اليأسُ ينتابني . **هو مسحورٌ ، مسحورٌ حقاً !** . . . إنه يركب رأسه ويعاند كما لم يفعل من قبل ، ويقابلني بلا مبالاةٍ وقسوةٍ لا مثيل لهما . لا يكاد يُعْرَفُ بعد أن تركتْ تلك المرأةُ زوجها ! . .

الأمير : ما الذي يجري ؟ أين وصلت الأمورُ ؟

آنا دميتريفنا : إنه يُصرّ على الزواج بها مهما كلّف الثمن . .

الأمير : طيّب ، والزوج ؟ . . .

آنا دميتريفنا : وافقَ على الطلاق .

الأمير : عجباً !

آنا دميتريفنا : فيكتور أيقبل هذا ! كل هذا الوحل . هؤلاء المحامون ، وكل تلك المحاضر . . . **كل ذلك مُقْرِفٌ** ، لكنه لا يأنف منه ! . . . لم أعد أفهمُه ، مع نعومته ... وخجله ...

الأمير : ما الحيلة ، إنه يحبها ! تعلمين أن الحب . . .

آنا دميتريفنا : لكن الحبّ في زماننا كان صافياً ، كان الحبّ ــ الصداقةَ ، وكانت العاطفة تستمرّ طوال الحياة . . . هذا هو الحب الذي أفهمه ، والذي أُعجَبُ به . . .

الأمير : الجيلُ الجديد لا يَقْنع بمثل هذه العلاقات المثالية ! لا **يكفيه امتلاك الروح** . ولا سلطان لنا عليه ! . . . لكن

ماذ سيجري لفيكتور ؟

آنا دميتريفنا : اوه ! لا تكلّمني عنه ! أكرّر لك ، إنه سحرٌ . . . تغيّر كليّاً . أتعلمُ أني ذهبت إلى بيتهم . . . لفَرْط ما رجاني . ذهبتُ إلى هناك فلم أجدْ أحداً . وتركتُ بطاقتي . ثم بعثتْ تسأل إن كنت أريد أن . أستقبلها . وفي هذا اليوم بالذات (تنظر إلى ساعتها) . في الساعة الثانية ، أي في مدى بضع ثوانٍ ، ستكون هنا . وعدتُ فيكتور بأن أستقبلها . . . أنتَ تقدّر حالتي النفسية . . . أنا مشوّشة جدا ... ولذلك رجوتك ، على عادتي ، أن تحضر . أنا بحاجة إلى مساعدتك .

الأمير : شكراً . . .

آنا دميتريفنا : أنت تعلم جيداً أن مصير فيكتور بأكمله يتوقّف على هذه المقابلة . ينبغي لي أن أرفض الموافقة . . . لكن هل استطيع ذلك ؟ . . .

الأمير : ألا تعرفينها على الإطلاق ؟ . . .

آنا دميتريفنا : لم أرها قط . . . لكنني أخشاها ! الزوجة الرقيقة القلب لا تترك زوجها على هذا النحو ، ولا سيّما زوجها البالغ الطيبة . إنه صديق فيكتور وكان يزورنا كثيراً . وكان لطيفاً جداً . لكن مهما تكن الأخطاء التي أخطأها نحوها فلا ينبغي للزوجة أن تهجر زوجها . يجب أن تحمل صليبها حتى النهاية ، ثم إن مالم أفهمه هو أن يقبل فيكتور ، مع عواطفه الدينية ، بالزواج من امرأة مطلّقة ، فكم من

مرةٍ ناقش « سبيتزين » مؤخّراً أمامي ، وذَهَبَ إلى أن الطلاق لا يمكن أن يتوافق مع مذهب المسيح الحقيقي ! وهو يقبل به اليوم لنفسه . **وإذا كانت قد استطاعتْ أن تَفْتنه إلى هذا الحد . . .** فأنا أخشاها . . . لكني دعوتُكَ أطابُ مشورتك ولم أكفَّ عن الكلام . قلْ لي : ما رأيك ؟ ... ماذا ينبغي أن أفعل ؟ ... هل كلّمتَ فيكتور ؟

الأمير : نعم ، تحدّثْنا . أنا واثقٌ من أنه يحبّها . وهو خاضعٌ لهذا الحب . هذا رجل يُسْلِمُ نفسَه ببطء ولكنْ بأكملها . وما دَخَلَ قلبَه لا يخرجُ منه ! لن يحبّ امرأةً أخرى ، ودونها لا يستطيع أن يكون سعيداً .

آنا دميتريفنا : تصوّرْ أن ماريا كازانتزيفا كانت ستتزوّجه بفرح ! ... يا لها من فتاة فاتنة ! وكم تحبّه !

الأمير : **هذا كمَنْ ينسى ضيفه.** لا فائدة من التفكير في ذلك . الأفضل ، برأيي ، أن تُسامحي ، بل أن تساعديه على الزواج منها .

آنا دميتريفنا : الزواج من مطلّقة ! ... لكي يلتقي زوج امرأته الأول ؟ إنك تتكلّم على ذلك بهدوء مدهش . هل يمكن لامرأةٍ ، لأمٍّ ، أن تقبل مثل هذا الزواج لابنها الوحيد ؟ وأي ابن؟

الأمير : ما حياتنا، يا صديقتي المسكينة ! بالطبع ، كان أجْلَبَ للسرور لو تزوج فتاةً تعرفينها وتحبّينها . . . لكن ، بما أن ذلك مستحيل ... لا ينبغي أن يعطي اسمه لغجرية ... أو لامرأة لا يُعْرَفُ أصلها . إن ليزا رحما نوفا لطيفة جداً ،

وأنا أعرفها ، بفضل ابنة أختي « نيلي » ؛ هي وديعة ، طيّبةٌ ، ودود ، فاضلة .

آنا دميتريفنا : فاضلة ! . . . زوجةٌ تترك زوجَها ؟ . . .

الأمير : آه ! تغيرّت عليّ ! كيف تُصبحين قاسيةً فجأة وأنت الشديدة التسامح ! إن زوجَها من هذه الكائنات الّتي يُقال عنها : هي عدوّةُ نفسها ؛ وهو عدو امرأته فوق ذلك . إنه رجل ضعيف ، منحطّ ، سكيّر . ولقد بذّر ثروتَه وثروة امرأته ، مع أن لها ولداً ! كيف تدينين امرأة هجرتْ مثلَ هذا الزوج ! ثم إنه هو الذي هجرها لا هي ...

آنا دميتريفنا : اوه ! أيّ وحل ، أيّ وحل، ولا بد لي من أن أتخبّطَ فيه !

الأمير : وأين دينُك ؟ . . .

آنا دميتريفنا : نعم ، نعم ، المغفرة ! « كما نغفر لمن أساءَ إلينا » . **لكن هذا أقوى مني ! . . .**

الأمير : كيف يمكنها أن تعيش مع مثل هذا الرجل ؟ حتّى لو لم تحبّ آخر ، عليها أن تهجره ؛ كان ينبغي أن تفعل ذلك من أجل ابنها . . . بل إن زوجها ذاته ، وهو رجلٌ ذكيٌّ وخيّر عندما يكون عقلُه معه ، قد نصحها بذلك .

(يدخل فيكتور . يلثم يد أمه ويُحيّي الأمير) .

المشهد — ٢ —

« آنا دميتريفنا ، الأمير ، فيكتور »

فيكتور : ماما ، جئتُ على عجلٍ ، وليس عندي سوى كلمة واحدة أقولها لكِ . ستأتي اليزافيتا اندريفنا بعد هنيهة ، ولستِ أطلبُ منكِ إلا شيئاً واحداً ، أتوسّل إليكِ : إذا كنتِ مستمرةً في عدم الموافقة على زواجي . . .

آنا دميتريفنا : تقاطعه : من دون شك أنا مستمرةٌ في عدم الموافقة عليه ! . . .

فيكتور ، متجهّما : أرجوكِ إذن : لا تحدّثيها عن رفضكِ . . . لا تقولي شيئاً يتعذّر إصلاحُه .

آنا دميتريفنا : أعتقِد أننا لن نتحدث عن ذلك ! . . . ومن المؤكد أنني لن أبدأ هذا الموضوع .

فيكتور : ولن تبدأ هي به ؟ أحببتُ فقط أن تتعرّفي عليها .

آنا دميتريفنا : هناك شيءٌ لم أفْهمْه . . . كيف توفّق بين رغبتك في الزواج من السيدة بروتا سوفا ، وزوجُها حيٌّ ، وبين آرائك الدينية التي تَحمِلك على التأكيد بأن الطلاق مناقضٌ للانجيل ؟

فيكتور : ماما ، ما أقسى هذا منكِ ! أنحن معصومون ؟ . . . ألا يقع لنا أن نحيدَ عن مبادئنا عندما ندخل في نزاعٍ مع صعوبات الحياة ؟ لمَ كل هذه القسوة ، يا أمي ؟

آنا دميتريفنا : لأنني أحبك ، لأنني أبْغي سعادتك . . .

فيكتور ، يلتفت إلى الأمير : سيرج دميتريفيتش !

الأمير : لا شك أنك تبغين سعادته ! . . . لكنْ ، أنستطيع نحن ، بشعرنا الشائب ، أن نفهم الشباب ؟ . . . ولا سيما التي لها أفكارٌ محدّدةٌ عن سعادة ابنها ! كل النساء هكذا .

آنا دميتريفنا : نعم ، نعم ، هذا أمرٌ مفروغ منه . . . أنتما ضدي ...
افعلْ ما تشاء ، يا فيكتور ، فان لك الحقّ في ذلك . . .
أنت بالغ . . . لكن اعلمْ أنك ستقتلني .

فيكتور : تغيّرتِ تماماً ! . . . هذا أكثر من قسوة . . .

الأمير افيكتور : كفى ، يا فيكتور . أمّك أقسى دائماً في أقوالها منها في أفعالها .

آنا دميتريفنا : سأقول لها ما أفكر فيه وما أحسّه . سأقول لها ذلك دون أن أجرحها .

الأمير : لا أرتابُ في ذلك .

(يدخل الخادم) .

المشهد — ٣ —

« الأشخاص أنفسهم ، الخادم »

الأمير : ها هي ذي .

فيكتور : سأنصرف .

الخادم : اليزافيتا اندريفنا بروتا سوفا .

فيكتور : سأنصرف ، ماما . . . أتوسل إليكِ مرةً أخرى .

(يخرج ، ينهض الأمير) .

آنادميتريفنا: أدخلْها . . . (للأمير) . لا ، ابقَ .

الأمير : كنتُ أظن أنكما سترتاحان أكثر لو كنتما على انفراد .

آنا دميتريفنا : لا ، قلت لك لا . أنا أخشاها . (تضطرب) . يُضايقني

أن أنفرد بها . فإذا شعرت بالحاجة إلى الانفراد بها أومأتُ إليك . . . هذا رهنٌ بالظروف . سأومىء إليك هكذا .

(تشير إشارة) .

الأمير : سأفهم . . . أنا واثق من أنها ستُعجبك ... لكنْ كوني عادلةً على الخصوص . . .

آنا دميتّريفنا : كيف تتّحدون جميعاً ضدي !

(تدخل ليزا بلباس المدينة ، وبالقبّعة) .

المشهد — ٤ —

« آنا دميتّريفنا ، الأمير ، ليزا » .

آنا دميتّريفنا ، ناهضةً : أسفْتُ كثيراً لأني لم أجدكِ في المنزل . لكنكِ لطيفةٌ جداً اذْ جئتِ . . .

ليزا : ما كنتُ أتوقّعُ ... أنا ممتّنة لك أنك رغبتِ في رؤيتي .

آنا دميتّريفنا : أتعرفين الأمير ؟

الأمير : طبعاً ، تشرّفتُ من قبل بالتعرّف إليها . (يتصافحان ثم يجلسان) . وقد حدثتْني ابنةُ أخي « نيلي » عنها كثيراً .

ليزا : نعم ، كنا مرتبطتين بالصداقة ... (تلقي بنظرة خجلة صوْبَ آنا دميتّريفنا) . ومازلْنا كذلك . (لآنا دميتّريفنا) ما كنتُ أتوقّع أن ترغبي في رؤيتي .

آنا دميتّريفنا : كنت أعرف زوجَك جيداً . كان صديق فيكتور ، وكان يتردد كثيراً علينا ، قبل سفره إلى تامبور . ففيها تزوّجك ، على ما أعتقد .

ليزا : نعم ، تزوجْنا هناك .

آنا : وبعد عودته إلى موسكو ، لم يزرنا قط .

ليزا : اوه ! لم يكن يرى أحداً ، تقريباً . . .

آنا دميتريفنا : حتّى إنه لم يعرّفْني بكِ .

(صمت مربك) .

الأمير : آخر مرة لقيتكِ فيها كانت عند آل دينيسوف ؛ كانوا يمثّلون ملهاة ، لطيفة جداً . . . وقمتِ أنت بدور من أدوارها .

ليزا : لا ... بلى ! تذكّرتُ ، في الواقع . . . (صمت جديد) . اغفري لي ، يا آنا دميتريفنا إن كان ما سأقوله لكِ غير مستحب ، لكني لا أريد أن أُخفي عنكِ شيئاً ... إنما جئتُ لأن فيكتور ميخايلوفيتش قال لي . . . لأنه ... رغبتِ في رؤيتي . . . لكن يجب أن أقول لكِ كل شيء ... (تنتحب) . إن هذا شاقٌ علي ... وأنتِ ، يا سيدتي ، كريمةُ النفس . . .

الأمير : سأنسحب . . .

آنا دميتريفنا : نعم ، اتركْنا .

الأمير : إلى اللقاء ، سيداتي

(يُحييّ ويخرج) .

المشهد — ٥ —

« آنا دميتريفنا ، ليزا ؛ ثم فيكتور » .

آنا دميتريفنا : اصغي ، يا ليزا . . . لا أعرف اسماك لآخر . . .

ليزا : اندريفنا .

آنا دميتريفنا : سيان ! ليزا ، أنا أرثي لكِ بصدق ، وأنتِ قريبةٌ إلى نفسي . لكنني أحبّ فيكتور ؛ ولستُ أحبّ غيره في العالم ! . . . وأعرف نفسَه مثلما أعرفُ نفسي ؛ فهو فخورٌ بنفسه ؛ كان فخوراً بنفسه منذ السابعة ؛ فخورٌ لا باسمه أو بثروته ، بل بنقائه وفضيلاته . إنه نقي كالفتاة .

ليزا : أعلم ذلك . . .

آنا دميتريفنا : أنتِ أول امرأة يحبّها ! ولا أكتمُكِ أني أغار من حب ابني . نعم ، أغار منكِ . لكني أمّ ، كما أنّكِ أم ، وإن كان ابنُكِ ما يزال صغيراً جداً ، ولم يحن الوقت بعد لكي تفكّري فيه . كنتُ مستسلمةً سلفاً ، كنتُ مستعدةً لأن أهبه لامرأة دون أن أغار منها . . . لكن لامرأةٍ نقيّةٍ نقاءه .

ليزا : وأنا ؟ ... أأنا ... ؟

آنا دميتريفنا : اسمحي لي . . . أنا أعلم . . . الغلطةُ ليست غلطتكِ ... أنت تعسةٌ . أنا أعرفُه . فهو مستعدٌ ، في الوقت الحاضر ، لأن يتحمّل كل شيء . . . وحتى فيما بعد لن يقول

شيئاً أبداً ، لكنه سيتألـم في نفسه . . . فكبرياؤه الجريحةُ ستعذّبه ولن يكون سعيداً أبداً .

ليزا : فكّرتُ في هذا من قبل .

آنا دميتريفنا : يا عزيزتي ليزا . . . أنت امرأةٌ ذكية وخيّرة . وإذا كنتِ تحبّينه ، فأنت تتمنيّن سعادته قبل كل شيء .

وإذن فإن تَرْضَيْ أن تقيّديه وأن تقوديه إلى الندم ، لأنه سيندم دون أن يقول شيئاً أبداً .

ليزا : أدري أنه لن يقول شيئاً . وقد فكرتُ في ذلك . وطالما تساءلتُ عن هذا الموضوع وحدّثتُه فيه . لكن ماذا بوسعي أن أفعلَ إنْ كان يقول لي : إنه لا يستطيع العيشَ دوني ؟ قلتُ له : « لِنَبْقَ صديقين ، لكنْ ابْنِ لنفسك حياةً مستقلّةً عن حياتي ؛ لا ترتبطْ بي وأنا لستْ نقيةً نقاءَك » . ولم يُرِدْ أن يُصغي إليّ .

آنا دميتريفنا : نعم ، إنه لا يريد . . . في الوقت الحاضر .

ليزا : أقْنعيه ، أنا أقبلُ أن يتركني ... أحبّه وأريد سعادته أكثر من سعادتي . . . لكنْ ساعديني ، ولا تَكْرهيني ... لِنُحبّه كلتانا ولنسعَ إلى أن نجعله سعيداً .

آنا دميتريفنا : نعم ، يابنتي العزيزة ، أنا أحبّك ... (تقبّل ليزا التي تبكي) . اوه ! لماذا لم يحبك قبل زواجك !

ليزا : هو يؤكد لي أنه أحبني في ذلك الزمن ، لكنه لم يشأْ أن يحول دون سعادة غيره .

آنا دميتريفنا : اوه ! لكم يحزنني ذلك كله ! لكن لنتحابّ ، وسيساعدنا الله على ايجاد الحلّ .

فيكتور : يا أمي العزيزة ، سمعتُ كلّ شيء ! . . . وكنت أتوقّع ذلك . . . لقد استطاعت أن تستميل قلباك . . . سيسير كل شيء نحو الأفضل .

ليزا : أنا آسفة لأنك سمعتَ . لو كنتُ أعلم لما قلتُ شيئاً . . .

آنا دميتريفنا : لكن لم يتقرّرْ شيءٌ بعد ! كلُّ ما أستطيع قوله ، هو أنني كنتُ سأكون مسرورة لولا هذه الأحداث المحزنة .

(تقبّل ليزا) .

فيكتور : على شرط ألا تغيرّي رأيكِ بعد الآن .

اللوحة الثانية

« مسكن متواضع : سرير ، طاولة عمل ، أريكة » .

المشهد — ١ —

« فيديا ، ثم ماشا »

« فيديا وحده . يُقرع الباب ويُسْمَع صوتُ ماشا قائلا : « لمَ حبَسْتَ نفسَكَ ، يا فيدور فاسيليبيفيتش ؟ فيديا ، افتحْ لي » .

فيديا ، وهو يفتح: شكراً لمجيئكِ . . . ضجرتُ ، ضجرتُ حتى الموت .

ماشا : لمَ لم تأتِ إلينا ؟ وشربتَ أيضاً ؟ أين وعدُك ؟

فيديا : تعلمين أنه لم يبقَ معي مالٌ .

ماشا : اوه ! ما أشقاني بحبّي لك !

فيديا : ماشا !

ماشا : ماذا ، ماشا ، ماشا ! لو كنتَ تحبّني لطلّقتَ امرأتك منذ زمن بعيد ... امرأتك تطالبُ ذلك منك أيضاً . . . ومع ذلك فأنتَ لا تتخلّى عنها . . . كأنك لا تريد الطلاق ؟ ..

فيديا : لكنك تعلمين جيداً لماذا لا أريدُه .

ماشا : تلك حماقات ! الحقّ مع مَنْ يقول : إنك لا تَصْلح لشيء . . .

فيديا : ماذا أقول لكِ ؟ أأقول أن كلماتك تؤلمني ! لكنك تعلمين ذلك أنتِ نفسكِ .

ماشا : لا شيء يؤلمك .

فيديا : تعلمين مع ذلك أنْ ليس في حياتي سوى هذه الفَرْحة وهي حبُّك .

ماشا : آه ! نعم ، حبّي هو حبي ، لكني لا أكاد أرى حبّك .

فيديا : لا تتصوّري أني سأقسم لك بالأَيْمان . فما الفائدة ؟ تعلمين جيداً أنني أحبّك .

ماشا : فيديا ، لمَ تعذّبني هكذا ؟

فيديا : مَنْ مِنّا يعذّب الآخر ؟

ماشا ، باكية : أنت شرير .

فيديا ، يدنو منها ويقبّلها : مهلاً ، ما بكِ ؟ دَعينا من هذا ، ولْنعِشْ بدلاً من التباكي ... الدموعُ لا تناسبكِ ، يا حلوتي ماشا . . .

ماشا : أتحبني ؟

فيديا : ومَنْ أحبُّ غيرَك ؟

ماشا : أنا وحدي ؟ والآن اقرأ لي ما كتَبْتَه .

فيديا : سيُضْجرك هذا .

ماشا : بما أنك كتبتَ ذلك أنتَ ، فلا بدّ أن يكون جميلاً .

فيديا : حسناً ! اسمعي . (يقرأ) « في أواخر الخريف اتّفقْنا صديقي وأنا على أن نلتقي قرب هضبة بورغين » . كانت غابةٌ صغيرة ، قاسية التربة ، مغطّاة بالأعشاب الفتية . كان النهار مظلماً ، دافئاً وهادئاً . والضباب . . . » .

(يدخل في هذه اللحظة غجري عجوز هو ايفان ماكاروفيتش ، وغجرية عجوز هي ناستازيا ايفانوفنا . وهما والدا ماشا) .

المشهد — ٢ —

ناستازيا ايفانوفنا ، مسارعة إلى ابنتها : آه ! أنتِ هنا ، أيتها النعجة الجرباء ! . . . احتراماتي ، يا سيدي . (لابنتها) . في أية ورطةٍ ورّطتِنا ، قولي ؟

ايفان ماكاروفيتش ، لفيديا : هذا سيّء ، يا سيدي . أضَعْتَ ابنتنا . نعم ، ما تَفْعَلُه سيء وممقوت .

ناستازيا ايفانوفنا : خذي شالك وانسحبي . سأعلّمك كيف تهربين من البيت . . . ماذا سأقول للفرقة ؟ تغامرين مع عاشق لا يملك فلساً ! ومن الذي يستطيع حَمْلَه على الدفع !

ماشا : لستُ مغامرةً . أحبُّ فيدور فاسيلييفيتش وكفى . لم أترك الفرقة ، وسأغني كما كنتُ أغني من قبل ، لكن ...

ايفان ماكاروفيتش : اخرسي وإلاّ اقتلعتُ شعركِ . مَنْ الذي علّمكِ هذه الأمثولة الرديئة ؟ لا أبوك ، ولا أمك ، ولا عمتك . (لفيديا) . ما تَفْعلُه سيّءٌ ، يا سيدي . كنا نحبّك . وإرضاءً لخاطرك كمْ مرةٍ غنّينا بلا مقابل . شفقْنا عليك . وهذا ما تفعلُه ، أنتَ !

ناستازيا ايفانوفنا : أضَعْتَ ابنتنا الوحيدة ، ابنتنا الجوهرة ، فرحة عينينا ! ألقيت بها على الزبل ! أنت لا تَعْرِف الله !

فيديا : لا ، يا ناستازيا ايفانوفنا ، أنت تتّهمينني ظلماً . لقد

عاماتُ ابنتك كما تُعامَلُ الأختُ واحترمتُ شرفها . فلا تُسيئي الظنَّ . لكني أحبّها ، ولا حيلةَ لي في ذلك .

ايفان ماكاروفيتش : لمَ لم تحبّها عندما كنتَ تملكُ المال ؟ . . . كان يجب أن تعطي الفرقة عشرة آلاف روبل وتحصل على ماشا بكل شرف . لكنك تخطفها سراً ، اليومَ وأنت لم تعد تملكُ فلساً واحداً ، عيبٌ عليك،يا فيدور فاسيلييفيتش ، عيبٌ عليك !

ماشا : هو لم يخطفْني ، وجئتُ وحدي ، وسوف أعود لو أخذتماني معكما . أحبُّه وكفى ! سيُحطّم حبي أقفالكم . لا أريد . . .

ناستازيا : هيا ، يا صغيرتي ماشا ، لا تركبي رأسَكِ . . . لقد أسأتِ التصرّف ، تعالي . . .

ايفان ماكاروفيتش : كفى كلاماً . امشي (يأخذ ابنته من يدها) . وداعاً ، يا سيدي .

(يخرج الأب والأم وماشا)

المشهد — ٣ —

« فيديا ، الأمير ابريسكوف » .

الأمير ، داخلاً : اعذرْني ، كنتْ شاهداً غير متعمّدٍ لمشهد مؤلم ....

فيديا : مَنْ الذي يُشَرّفني . . . (يَعْرِفه) آه ! الأمير سيرج دميتريفيتش .

(يحيّيه) .

الأمير : ... شاهداً غير متعمّد لمشهد مؤلم . كنتُ أود ألا أسمع ؛ لكنْ بما أنني سمعتُ ، رأيت من واجبي أن أقول لك ذلك . أُدْخلتُ إلى هذا المكان ، وكان لا بد لي من انتظار خروج هؤلاء الأشخاص ؛ عبثاً ضربتُ على الباب ، فقد كانت الضرباتُ تضيع في ضوضاء الأصوات . . .

فيديا : أرجوك ، اجلسْ . . . أشكرك لأنك قلتَ لي ذلك ، وهذا يُتيح لي أن أشرح لك هذا المشهد . ولا أهمية لرأيك بي . لكنني أحب أن أقول لك أن اللوم الموجّه إلى الفتاة ، إلى المغنّية الغجرية لومٌ غير عادل . إنها نقيّة كالحمامة ، وعلاقاتنا وديّة لا غير ، وإذا كانت هذه العلاقات مطبوعةً بشيءٍ من الشاعرية ، فان شرف الفتاة لم يدنّس من جراء ذلك . هذا ما كنت أحرص على قوله لك . والآن ماذا تريد ؟ فيم أستطيع أن أكون نافعاً لك ؟

الأمير : أولاً .

فيديا : عفواً ، يا أمير ، فوضعي الاجتماعي بلغ الآن حداً لا تكفي فيه علاقاتنا القديمة والمتقطعة لأن تؤهّلني لزيارتك . ولا بد أن تكون هناك قضيّة . فما هي ؟

الأمير : حزرْتَ ، في الواقع . فهناك قضيّة . إلا أنني أرجوك أن تعتقد أن وضعك الحالي لا يغير عواطفي تجاهك في شيء .

فيديا : أنا واثق من ذلك .

الأمير : هذه هي القضية : لقد رجاني ابن صديقتي القديمة آنا دميتريفنا كارينين ، كما رجتْني هي نفسها أن أسألك مباشرةً عن علاقاتك ... اسمحْ لي أن أحدّثك بصراحة ... عن علاقاتك بزوجتك ، اليزافيتا اندريفنا بروتا سوفا ؟

فيديا : علاقاتي بزوجتي ، أو على الأصح بالتي كانت زوجتي ، قد قُطِعَتْ كلّياً .

الأمير : هذا ما كنتُ أظنّه ، ولذلك قبلتُ هذه المهمّة الدقيقة .

فيديا : قُطِعَتْ علاقاتنا ، وأنا أسارع لأقول : إنها قُطِعتْ بسبب غلطتي ، لا غلطتها ... أو بسبب أخطائي التي لا تُحصى نحوها . أما هي فقد ظلت تلك المرأة التي لا مأخذ عليها .

الأمير : إذن كلّفني فيكتور كارينين وأمه خاصة أن أسألك ما نيّتُك .

فيديا ، محتدّاً : نيتي؟ لانيّة لي . أعدتُ لإمرأتي حرّيتها الكاملة، وأكثر من ذلك ، فلن أضايقها أبداً . يمكنها أن تطمئن . أعلم أنها تحب فيكتور كارينين ذلك أحسن لها . أنا أجده مُملاً جداً ، لكنه فتى طيب ، وشريف ، وأعتقد أنها ستكون سعيدة معه ، كما يُقال . **ليباركْهما الله !** هذا كل ما عندي .

الأمير : نعم ، ولكنّا . . .

فيديا ، مقاطعاً: لا تظنّ بي أدنى شعور بالغيرة . قلت عن فيكتور : إنه مملّ وأنا أسحب كلمتي . هو لطيف وشريف وفاضل، على عكسي أنا تقريباً . لقد أحبّ ليزا منذ الطفولة ، ولعلها

ظلّت تحبّه حين تزوجتني . الحب الذي لانتبيّنه هو أعمق الحب . اعتقد أنها احبّته ؛ لكنها لم تعترف لنفسها بهذا الحب، كما تفعل المرأةُ الشريفةُ . على أن ذلك كان يُلقي ظلّه على حياتنا . لكنْ ، لمَ أخصّكَ بهذا الحديث ؟

الأمير : أتْممْ كلامك ، أرجوك . صدّقْني أنني أنْ كنتُ جئتُ إليكَ فذلك رغبةً مني في أن أفهم فهماً عميقاً علاقاتك بزوجتك . إني أفهمك ؛ وأرى ، في الواقع ، أن ذلك الظل ، كما قلتَ بوضوح ، أمكن أن يوجد فعلاً .

فيديا : نعم ، لقد وُجد . ولعلي من أجل ذلك لم تكن الحياة الداخلية مع ليزا لتكفيني . ففتشتُ في مكان آخر ، وانسقْتُ وراء أهوائي . لكنْ يبدو أني أحاول تبرير ساوكي ... لا رغبةَ لي في ذلك ، ثم إني لا أستطيع . لقد كنت زوجاً سيّئاً ... أقول : كنتُ ، لأنني ، لا أعتبر نفسي ، منذ زمن بعيد زوجاً لها . وأنا أعدّها حرةً تماماً . هذا ردّي على مهمّتك .

الأمير : لكنك تعرف عائلةَ فيكتور ، وتعرفه هو نفسه . لقد ظلت علاقاته باليزافيتا اندريفنا وما تزال علاقات الاحترام الشديد . وكان لا يسعى إلا أن يكون نافعاً لها في الأوقات العصيبة .

فيديا : نعم ، أنا بنفسي قُدْتُهما إلى التقارب . لكن ما العمل ! كان لا بد أن تكون الأمورُ هكذا .

الأمير : أنت تعرف الآراء الارثوذكسية الصارمة التي يجاهر بها هو وأسرته . لست أشاركُهم آراءهم ، إذ أني أكثر تسامحاً في أفكاري ، لكني أحترم تلك الآراء وأتفهّمها ، وأعلم أنه يرى هو وأمه أنْ لا حياة ممكنة مع امرأة خارج الزواج الديني .

فيديا : نعم ، أَعلَمُ كم هو غدَ ... (يستدْرك) كم هو متشدّد بهذا الصدد . ماذا يلزمُهم ؟ الطلاق ؟ أَعلنتُ منذ زمن بعيد أني أوافق عليه . أما أن أتحمّل الخطأ قابلاً بكل أكاذيب الإجراءات(١) ، فذلك قاس جداً .

الأمير : أفهمُك وأشاركك رأيك . لكنْ ما العمل ؟ أظن أنه من الممكن تسوية القضية على هذا النحو ... بيد أن الحقّ معك ؛ أنا من رأيك . هذا فظيع .

فيديا ، يشدّ على يده : شكراً ، يا أميري العزيز . لقد اعتبرتك دائماً رجلاً شريفاً وخيّراً . قلْ لي كيف ينبغي أن أتصرّف ؟ ماذا ينبغي أن أفعل . ضع نفسك مكاني . لستُ أحاول أن أظهر خيراً مما أنا عليه . أنا بائس . لكن هناك أشياء لا يمكنني أن أفعلها من كل قلبي . لا أستطيع أن أكذب .

الأمير : أنا الذي لا يفهمُك . إن لك قدراتك وذكاءك ورقة

---

(١) أكاذيب الإجراءات : تقبل الكنيسة الارثوذكسية الطلاق في حالة الزنى . فلكي يتم الطلاق كان لا بد إذن من التظاهر بالجرم المشهود الذي تتحقق منه الشرطة .

عواطفك . فكيف يمكنك أن تستسلم هكذا للإغراءات ، وكيف يمكنك أن تنسى كل ما تتطلّبه من نفسك ؟ .... كيف وصلتَ إلى ما وصلت إليه ؟ كيف دمّرتَ حياتك .

فيديا ، متغلّباً على انفعاله : ها قد مضت عشر سنوات وأنا أحيا حياة الفجور ، وهذه هي المرة الأولى التي يَعْطِف فيها عليّ رجلٌ مثلك . فلم ألق حتى الآن سوى رفاقي من الماجنين ومن النساء الذين كانوا يرثون لي . . . لكن رجلاً عاقلاً وخيراً مثلك ... شكراً ! كيف وصلتُ إلى الضياع ؟ هناك الخمر ، في البداية . لا لأني أجد لذةً في الشرب . بل قد راودني دائماً الإحساسُ بأن كل ما يجري حولي غير ما يجب أن يكون فأخجل . وهكذا ، تراني أكلّمك الآن ! وأنا خَجِلٌ . أما أن يكون المرء مارشالاً للنبلاء أو مديراً لمصرف ، فذلك مخجلٌ جداً ، مخجلٌ جداً ... بعد أن نشرب يزول الخجل ... ثم هناك الموسيقا ، لا الأوبرا أو بيتهوفن ، بل موسيقا الغجر ، فهي تسكب في النفس الكثير من الحياة والطاقة . ثم هناك العيون السود الجميلة ، والابتسامة ... لكن كلما خلَبَ ذلك لُبّنا ازددنا إحساساً بالخجل .

الأمير : والعمل ؟

فيديا : حاولتُ ؛ كان رديئاً دائماً ، وكنت مستاءً دائماً . لكنْ ما جدوى الكلام عليّ ؟ أشكرك .

الأمير : ماذا يجب أن أقول لهم إذنْ ؟

فيديا : قلْ لهم : إني سأفعلُ كل ما يريدانه . يريدان أن يتزوّجا ، وألا يحول شيءٌ دون زواجهما ؟

الأمير : بالتأكيد .

فيديا : سأفعل ما يريدانه ؛ قل لهما : إنني سأفعل ذلك بالتأكيد .

الأمير : متى ؟

فيديا : انتظرْ . لنقلْ في ظرف خمسة عشر يوماً . هذا كثيرٌ ؟

الأمير ، ناهضاً : إذن أستطيع أن أخبرهم بذلك ؟

فيديا : نعم ، تستطيع . وداعاً يا أمير . أشكرك مرةً أخرى . (يخرج الأميرُ ، يجاس فيديا ، ويصمتُ طويلاً ، ثم يقول وهو يبتسم) : حسنٌ ، حسنٌ جداً . . . هذا ما يلزم ، هذا ما يلزم ، هذا ما يلزم .

ستار

الفصل الرابع

اللوحة الأولى

« حجرة صغيرة خاصة في مطعم » .

المشهد — ١ —

« خادم المطعم ، فيديا ، ايفان بيترو فيتش . يُدخل الخادم فيديا ، وخلْفه ايفان بيترو فيتش الكسندروف » .

الخادم : تفضّلْ بالدخول ؟ هنا لن يُزعجاك أحد . سأحمل إلياك الورقَ .

ايفان بيتروفيتش : بروتا سوف ... أتسمح لي بالدخول ؟

فيديا ، بوقار : ادخلْ إذا شئتَ ، لكني مشغول ... بل ادخلْ .

ايفان بيتروفيتش : تريدُ أن تردّ على طابهما ؟ سأقول لك كيفَ : لن ألفَّ وأدورَ ، فأنا أقول صراحةً ما أفكر فيه وأتصرّف دون تردّد .

فيديا ، للخادم: زجاجة شمبانيا ! ... (يخرج الخادم . يضع فيديا على الطاولة مسدّساً يُخرجه من جيبه) انتظرْ قليلاً .

إيفان بيتروفيتش : ماذا ! تريد أن تقتل نفسك ؟ حسنٌ ، هذا ما يحقُّ لك أن تفعله . إني أفهماك . يريدان أن يُذلاّك

وتريد أن تُريَهما مَنْ أنتَ . تَقْتلُ نفسك برصاصة ، وتقتلهما بعظمة نفسك . أنا أفهمك ... أفهمُ كل شيء ... أنا عبقري !

فيديا : طيّب ، طيب ؛ لكن ... (يدخل الخادم مع زجاجة الشمبانيا والورق والحبر . يغطي فيديا المسدس بمنشفته) . افتحْ ! لنشربْ ! (يشربان ، فيديا يكتب) . اسكتْ لحظةً .

ايفان بيتروفيتش : أَشْربُ نخب ... رحلتك العظمى ... أنا فوق ذلك كله . لن أوقفكَ . الحياةُ والموتُ سيّان عندي . أموتُ في الحياة وأحْيا في الموت . تريدُ أن تموت لكي يُبكّتَ الضميرُ هذين : امرأتك وصاحبها . وأنا سأَقتلُ نفسي لكي يُدرك العالم ماذا يفقد . لا أريد أن أتردّد أو أن أفكر . آخُذ المسدّس (يمسك بالمسدس) . واحد ، اثنان وينتهي كل شيء . لكنّ ساعتي لم تأتِ بعدُ ، (يضع المسدّس على الطاولة) . على كل حال ، ليس لي أن أعلّمهم . فَلْيكلّفوا أنفسهم عناءَ الفهم ... آه ! أنتم الآخرون . . .

فيديا ، يكتب : اسكتْ لحظةً .

ايفان بيتروفيتش : أيها البائسون الذين تزدحمون وتكدّون ولا تفهمون شيئاً ، لا تفهمون شيئاً ، على الإطلاق ! لستُ أكلّمكَ ، وإنما أعبرٌ عن أفكاري فقط . ماذا ينبغي للإنسانية أن تفعل ، على الإجمال . لا يُطالَبُ منها شيءٌ

كبير : كلُّ ما يُطابُ منها أن تكرّم عباقرتها . في حين أنها عذّبتهم واضطهدتهم وسحقتهم دائماً . اوه ! أنا لن أكون لعبة بين أيديكم ، أنتم الآخرون ، أستطيع أن أكشف قناعكم ... أيها المراؤون !

فيديا ، ينتهي من الكتابة ، ويشرب ويقرأ : انصرفْ ، أرجوك .

ايفان بيتروفيتش : **أنْصَرِفُ ؟ ... طيب ، وداعاً ... لن أوقفكَ .** سأفعل مثلك.لكنْ لم يَئِنِ الأوانُ بعد.أريد أن أقول فقط ...

فيديا : كفى ، تقول لي فيما بعد ... أما الآن فاسمع ما يجب فعلُه يا صديقي . أتسمح باعطاء هذا للمعلم (يعطيه نقوداً) واطلب لي رسالة وسفطاً على اسمي .

ايفان بيتروفيتش : طيب ... لكن عِدْني بأن تنتظرني ... فما عليّ أن أقوله لك عظيم الخطورة ... لن يُخبرك به أحد لا في هذه الحياة ولا في العالم الآخر ، على الأقل قبل أن أذهبَ أنا إليه . هل أعطيه كل هذه النقود ؟

فيديا : أعطِهِ ماله . (يخرج ايفان بيتروفيتش ، يتنفّس فيديا الصعداء ، ويُغلق الباب خلفه ، ويتناول المسدس ، ويرفعه ، ويضعه على صدغه ، ويَجْفل ، ويرخيه برفق وهو يتأوه) . لا . لا أستطيع ، لا أستطيع ! (يُقْرع الباب) . مَنْ هذا ؟

المشهد — ٢ —

« فيديا ، ماشا »

ماشا ، خلف الباب : أنا .

فيديا : مَنْ أنتِ ؟ آه ! ماشا .

(يفتح الباب)

ماشا ، داخلةً : بحثتُ عنك في غرفتك ، وعند بوبوف ، وعند أفريموف ، وأخيراً حزرتُ أنك هنا . (ترى المسدّس) . هذا هو الجنون . ما أحمقكَ ... يا لغبائك ! أحقاً أنتَ ... ؟

فيديا : لم أقْوَ على ذلك .

ماشا : أنا إذن ، لا حسابَ لي ! أيها الجاحد ! ألم تشفقْ عليّ ؟ يا لها من خطيئة ، فيدور فاسيلييفيتش ، يا لها من خطيئة ! ... هذا جزاء حبّي ...

فيديا : أردت أن أهبهما الحرية ، وعدتّهما بذلك ، لكني لا أستطيع أن أكذب .

ماشا : وأنا ؟

فيديا : مالَكِ ، أنتِ ؟ تُصبحين حرةً أيضاً . أأحسنُ لكِ أن تتألمي معي ؟

ماشا : طبعاً ، أحسن . لا أستطيع الحياةَ بدونك .

فيديا : هل الحياةُ معي حياةٌ . ستبكين في أول الأمر ، ثم تَحْيين حياتكِ .

ماشا : آه ! لا ، لن أبكيك ! لا ردّك الله إن لم تشفق علي .

(تبكي)

فيديا : ماشا ، يا صغيرتي ، أردتُ أن أفعل ما هو أفضل .

ماشا : الأفضل عندك .

فيديا ، مبتسماً: كيف ؟ الأفضل عندي ، بما أني أردت أن أقتل نفسي ؟

ماشا : بالتأكيد . لكن ماذا يلزمك ؟ قلْ لي .

فيديا : كثيرٌ من الأشياء .

ماشا : لكن ماذا ؟ ماذا ؟

فيديا : يلزمني أولاً أن أفيَ بوعدي ، وهذا وحده كثير . أأستطيع أن أكذب وأقبل بكل تلك القذارات اللازمة لإتمام الطلاق ؟

ماشا : لا شك أن ذلك مُقْرِفٌ ! أنا أيضاً ...

فيديا : وبعد ذلك يجب أن أهَبَ امرأتي وكارينين الحرية . هما طيبّان ، فلِمَ أعذّبُهما ؟

ماشا : لو كانت امرأتُك طيبّة حقاً لما هجرتكَ .

فيديا : لم تهجرْني هي ، أنا هجرتُها .

ماشا : آه ! جيد ! كلُ العيوب فيك ، أما هي فهي ملاك ... وبعد ذلك ؟

فيديا : بعد ذلك أنتِ لطيفةٌ وأنت ولدٌ عزيزٌ ، وأنا أحبّكِ ، فاذا عشتُ كنتُ سبباً لشقائك .

ماشا : هذا لا يخصّك . سأسعى إلى شقائي إن كان ذلك يُعجبني .

فيديا ، متنهداً : وهناك ، على الخصوص حياتي . أليس واضحاً أنني ضائعٌ ، لا أصلح لشيء ، عبء على الآخرين وعلى نفسي ، كما قال أبوك . لا ، أنا لا أصلح لشيء !

ماشا : ما هذه الحماقات ! أنا لن أتركاك أبداً . تعالقْتُ باك وكفى ! أما تلك الحياة الرديئة التي تعيشها .. الشرب والتدخين ... أنت حي ! اتركهما – الأمر بسيط جداً .

فيديا : الكلام سهل . . .

ماشا : اتركْهما .

فيديا : عندما أنظر إليك يبدو لي أنني أستطيع أن أفعل ذلك .

ماشا : ستفعل ذلك ، ستفعل كل شيء . (تشاهد الرسالة) ما هذا؟ كتبتَ إليهما ؟ ماذا قلتَ لهما ؟

فيديا : الذي قلتُه لهما . (يأخذ الرسالة ويهم بتمزيقها) . لا فائدة منها الآن .

ماشا ، تنتزع الرسالة منه : كتبتَ أنك ستقتل نفسك ؟ نعم ؟ لم تتكلّمْ عن المسدّس ؟ قلتَ فقط إنك ستقتل نفسك ؟

فيديا : نعم ، قلت إنني سأختفي .

ماشا : هات ، هات ، هات ! هل قرأت روايه « ما العمل(١) » .

فيديا : نعم ، أظنّ !

---

(١) ما العمل : عنوان رواية كتبها الاشتراكي تشيرنيشيفسكي في سنة ١٨٦٤ ،وكانت مشهورة في زمانها .

ماشا : الرواية مُملّة ، لكن فيها شيئاً حسناً . فالبطل ، ما اسمُه ؟ راحميتوف ، يتظاهر بأنه غرق . أتعرف السباحة ؟

فيديا : لا .

ماشا : أعطني ملابسك ، ومحفظتك .

فيديا : لكنْ لماذا ؟

ماشا : انتظرْ ، انتظر . لنذهب إلى الغرفة ، وهناك تُغيّر ثيابك .

فيديا : لكن هذه كذبة !

ماشا : لا قيمة لذلك ! لقد سبحتَ ، وظلّت ثيابك على الشاطىء ، وفي الجيب المحفظةُ والرسالةُ .

فيديا : وبعد ذلك ؟

ماشا : بعد ذلك ؟ سنترك المدينة وسنبدأ حياةً سعيدة .

(يدخل ايفان بيتروفيتش) .

المشهد — ٣ —

« فيديا ، ماشا ، ايفان بيتروفيتش » .

ايفان بيتروفيتش ، يشاهد المسدس على الطاولة : عجباً ! عجباً ! والمسدس ؟ ... سآخذه .

ماشا : خُذْهُ ، خُذْه ! سننصرف !

اللوحة الثانية

في منزل ليزا

المشهد — ١ —

« كارينين ، ليزا ، المرضع » .

كارينين : وعَدَ بذلك وعداً صريحاً ، وسيفي بوعده ، أنا واثق من ذلك .

ليزا : أنا خجلة من الاعتراف ، لكن يجب أن أعترف بأني منذ أن أُنبِئْتُ بحبه للغجرية أحسُّ بأني حرةٌ تماماً . لا تتصوّرْ أن هذا من الغَيْرة ... لكن معرفة ذلك تعني ، بالنسبة إلي ، الحريةَ . كيف أقول لكم . . .

كارينين : « لكم » أيضاً .

ليزا ، مبتسمة : لكَ ! لا تقاطعْني ، دعْني أقول لك ما أحسّ به . ما كان يعذّبني هو فكرةُ حبِّ رجلين معاً ، أي أن أكون امرأةً لا أخلاقيةً .

كارينين : أنتِ ، امرأة لا أخلاقية ! . . .

ليزا : لكن منذ أن علمتُ أنه يحيا مع امرأة أخرى — وأنه مِن ثَمَّ لن يحتاج إليّ — غدوتُ حرةً . وأستطيع أن أقول دون كذب : إنني أحبك . كل شيءٍ واضحٌ الآن في نفسي ، ولا يُقلقني سوى وضعي ، سوى ذلك الطلاق . فهذا الانتظار قاسٍ جداً !

كارينين : اوه ! لن يطول ذلك كثيراً الآن . . . فاضافةً إلى وعده ، رجوتُ أمين سر المجمع الديني أن يمرّ عليه ومعه طلب الطلاق ، وألا يعود قبل أن يحصل على توقيعه ... الحقيقة أنني لو لم أكن أعرف فيديا معرفة حسنة لظننْتُ أنه يتباطأ عن عمدٍ .

ليزا : هو ! اوه ! لا ، هذا هو ضعفه واستقامتُه في الوقت نفسه . إنه لا يريد أن يقول الأكاذيب ... لكنك أخطأت حين أرْسلتَ إليه النقود . . .

كارينين : لم أكن أستطيع أن أفعل غير ما فعلت ؛ فقد يكون ذلك سبباً للتأخير .

ليزا : ومع ذلك ، ففيما فعلتَ شيءٌ جارح .

كارينين : لاينبغي أن يكون دقيقاً إلى هذا الحد .

ليزا : كم أصبحنا أنانيّيْن !

كارينين : نعم ، أعترفُ بذلك ، لكن الغلطة غلطتك . . . فبعد هذا الانتظار ! هذا اليأس ! أحسّ الآن أنني سعيد إلى حد بعيد ! والسعادة تجلب الأنانية . الغلطةُ غلطتك !

ليزا : لا تظن أنك وحدك سعيد ، فأنا سعيدة أيضاً . السعادةُ تملأ نفسي ! إنني أعومُ في السعادة ... فميشا شفي ... وأمّك تُضمر الودّ لي . . . وأنا أملكُ حبّك ... وقبل كل شيء . . . أنا أحبك .

كارينين : نعم ، أنت تحبينني ؟ بلا ندم ، ولا رجعة ؟

ليزا : تغيرّ كلُّ شيء فيّ منذ أن أحببتُكَ ، لأن ماضيّ انتهى بالنسبة إليك ، كما انتهى تماماً بالنسبة إليّ .

المشهد — ٢ —

« تدخل المرضع ومعها الصبي الذي يذهب إلى أمه . تأخذه وتضعه على ركبتيْها » .

كارينين : يا إلهي ! ما أشقانا جميعاً !

ليزا : لماذا ؟ . . .

(تقبّل الصبي) .

كارينين : لماذا ؟ دونك السبب : عندما تزوجتِ وعلمتُ ذلك بعد عودتي من الخارج ، وأدركتُ أنني فقدتك ، شقيتُ بذلك كثيراً ، حتى لقد كان فرحي عظيماً عندما علمتُ أنك مازلتِ تتذكرينني على الأقل ، وكان هذا كافياً لي . وعندما أصبحنا صديقين فيما بعد ، وكنتِ رفيقةً بي ، وأحسستُ أن في صداقتنا شرارةً صغيرة أكثر من الصداقة ... كنتُ سعيداً تقريباً . الخوف وحده من أن أكون لئيماً تجاه فيديا كان يعذّبني . لكنني كنتُ أشعر ، في الوقت نفسه ، شعوراً أكيداً بأنني لا يمكن أن أُقيم مع زوجة صديقي علاقات غير علاقات الصداقة ؛ ولا سيّما أني كنتُ أعرفكِ ، أنتِ ... على الإجمال لم يكن ذلك يُقْلقني ، وكنتُ مسروراً . وعندما بدأ فيديا يسبّب لك الألم ، وأحسستُ أني سندٌ لك وأنكِ بدأتِ تخشيْن

صداقتي ، شعرتُ بالسعادة التامة ووُلدَ فيَّ أملٌ مُبْهمٌ . وعندما أصبح فيديا لا يُطاق ، بعد ذلك ، وعندما عزمتِ على تَرْكه ، وعندما كاشفْتكِ لأول مرة بكل شيء فتركتني ، والدموعُ في عينيك ، دون أن تقولي لا ، غمرتني السعادة . ولو أني سُئلتُ في تلك اللحظة ، ما الذي ترغبُ فيه ، لأجبتُ : لا شيء . ثم جاءَ إمكانُ ربط حياتي بحياتك . فقد أحبّتك أمي ، وبدأت رغباتي تبشّر بالتحقّق ، وقلتِ : إنكِ أحببتنِي دائماً وما تزالين ... ثم قلتِ لي ، ما قلته قبل هنيهة ، أن فيديا لم يعد موجوداً إليك وأنك لا تحبّين غيري ... ما الذي أبتغيه أكثر من ذلك ؟ كلا ، إني أتعذّب الآن من ماضيك ، أود لو أنه لم يوجد وألا يذكّرني به شيء .

ليزا ، لائمةً : فيكتور !

كارينين : سامحيني ، يا ليزا ، إن قلتُ لكِ ذلك فلكي لا تظلّ أية فكرة تخصّك مخبّأةً في نفسي . إني أكلّمكِ هكذا عن عمدٍ لأُريكِ كم أنا سيّءٌ ، وأعلم أن لا مزيد على هذا السوء ، وأنني ينبغي أن أجاهدَ ، أجاهد نفسي ، لأتغلّب عليها . أنا الآن مغلوب .

ليزا : هذا ما ينبغي فعله ؛ وأنا أيضاً بذلتُ وسعي ، وكل ما كنتُ ترغبُ فيه قد تحقّق في قلبي خارج إرادتي ؛ اختفى منه كلُّ شيء ما عداك .

كارينين : كل شيء ؟

ليزا : كل شيء ، كل شيء ... وإلاّ لما قلتُ لكَ ذلك .

المشهد — ٣ —

« كارينين ، ليزا ، الخادم » .

الخادم : السيد فوسنيسنسكي .

كارينين : إنه يحمل جواب فيديا .

ليزا ، للخادم : أدْخِلْه .

كارينين ، ناهضاً وذاهباً إلى الباب : وأخيراً ، ها هي ذي الرسالة !

ليزا : معطيةً الطفل للمرضعة التي تنصرف : هل سيتقرّر حقاً كل شيء ؟

(تقبّل فيكتور . يدخل فوسنيسنسكي) .

المشهد — ٤ —

كارينين : ماوراءك ؟

فوسنيسنسكي : فيدور فاسيلييفيتس لم يكنْ في غرفته .

كارينين : لم يكن في غرفته ؟ ولم يوقّع الطلب ؟

فوسنيسنسكي : لا ، لم يوقّعْه ، لكنه تركَ رسالةً لك ولأليزافيتا اندريفنا (يُخرج الرسالة من جيبه) . ذهبتُ إلى غرفته فقيل لي : إنه في المطعم ، وذَهبْتُ إلى المطعم ، فرجاني فيدور فاسيلييفيتش أن أعود بعد ساعة ليُعدّ الجواب . عُدْت وها هو الجواب .

كارينين : ما يزال يؤجّل ؟ أعذارٌ أخرى ! ليس هذا حسناً ، في الحقيقة ! كم سقَطَ !

ليزا : لكن اقرأ ! ماذا كتب ؟

(يفتح كارينين الرسالة) .

فوسنيسنسكي : لم تعودوا بحاجة إليّ ؟

كارينين : لا ، إلى اللقاء . أشكركَ .

المشهد — ٥ —

ليزا : ما الأمر ؟ ما الأمر ؟

كارينين : هذا فظيع !

ليزا ، تحاول أن تنتزع الرسالةَ منه : اقرأْ !

كارينين ، يقرأ : « ليزا وفيكتور . أخاطبكما كليكما . لا أريد أن أكذب بقولي لكما: عزيزيّ وحبيبيّ . فلستُ أستطيع التغلب على الشعور بالمرارة واللوم — اللوم لنفسي ، وهو لومٌ مؤلم مع ذلك عندما أفكرّ فيكما ، في حبكما ، وفي سعادتكما . إني أعرفُ كل شيء ، وأعلم جيداً ، وأنا الزوج ، أنني كنت أحول بينكما وبين السعادة ، بقوة الأشياء . أنا الذي كنتُ الدخيلَ المتطفّل . على أني لا أستطيع أن أمنع نفسي من الإحساس بالبرودة والمرارة إزاءكما . وأنا ، نظرياً ، أحبكما كليكما ، وخاصة ليزا ، صغيرتي ليزا ؛ لكني ، في الواقع ، شديدُ اللامبالاة. وأعلم أني مخطىءٌ . لكن لا حيلةَ لي في ذلك .

ليزا : ماذا يريد أن يقول ؟ إلى أين يُريد أن يَصل ؟

كارينين ، يتابع القراءة: « لكنْ ، لِنَأْتِ إلى لبّ الموضوع . إن

هذا الازدواج الداخلي أجبرني على أن أحقق رغبتكما بطريقة أخرى غير التي اقترحتماها علي . إن الكذب والتمثيل الغبي ، برشوة مستخدمي المجمع الديني ، كل هذه النذالة تثير اشمئزازي . ومهما أكن تعساً ، فأنا تعس على نحو آخر ، أما هذه الفضيحة الشائنة فاني لا أستطيع أن أشارك فيها ، لا أستطيع حقاً . والحل الآخر الذي توصلت إليه هو الأبسط . تريدان أن تتزوجا لتغدوا سعيدين ، وأنا أحول بينكما وبين الزواج ، إذن يجب أن أزول . . .

ليزا ، ممسكة بيد كارينين : فيكتور !

كارينين ، يقرأ : « يجب أن أزول ، وها أنا ذا أزول . فعندما تصلكما هذه الرسالة أكون قد قضيت . — حاشية : أسفت كثيراً لأنكما أرسلتما لي المال من أجل نفقات الطلاق ، كان ذلك جارحاً وغير متوقع من قبلكما . لكني . . . ارتكبت كثيراً من الأخطاء ، فمن المسموح لكما أن ترتكبا هذا الخطأ . ستعاد إليكما نقودكما . والحل الذي اخترته أسرع وأرخص ؛ وهو أيضاً أبسط وأوثق . لا أطلب منكما إلا شيئاً واحداً : لا تحقدا علي ولا تسيئا الظن بي . وهذا الشيء أيضاً : أعرف ساعاتياً يدعى « ايفغينييف » ، هل يمكنكما أن تمدا إليه يد العون . هو ضعيف لكنه رجل مستقيم . الوداع . فيديا » .

ليزا : قتل نفسه !

كارينين ، « قارعاً الجرس وراكضاً إلى غرفة الانتظار : أرْجعوا السيد فوسنيسنسكي !

ليزا : كنتُ أعلمُ ذلك ، كنتُ أعلم ذلك ! فيديا ، يا عزيزي فيديا !

كارينين : ليزا !

ليزا : غير صحيح ، غير صحيح ، أني لم أكن أحبّه وأنني لا أُحبّه ، كنتُ أحبْه وما أزال أحبّه ! وأنا التي قتلته !

(يدخل فوسنيسنسكي) .

كارينين : وأين فيدور فاسيليفيتش ؟ ماذا قيلَ لكَ ؟

فوسنيسنسكي : قيل لي إنه خرج صباحاً ولم يَعدْ .

كارينين : يجب أن تستعلم على الفور . أتركاكِ ، يا ليزا .

ليزا : سامحني ! وأنا لا أعرف الكذبَ أيضاً ... اذهبْ بسرعة واسعَ لمعرفة ما حدث .

ستار

الفصل الخامس

اللوحة الأولى

« صالة مطعم مريب . طاولة وحولها زُبُنٌ يشربون الشاي وماء الحياة . في المقدمة ، طاولة يجلس إليها فيديا ، خائر القوى ، رث الثياب . وبقربه يجلس بيتيشكوف ، وهو رجل يقظ ووديع ، شعره طويل ، حالم الهيئة . كلاهما ثملٌ قليلاً .

المشهد — ١ —

« فيديا ، بيتوشكوف ، ثم آرتمييف » .

بيتوشكوف : فهمتُ ، فهمتُ ! ... ها هنا الحب الحقيقي . وهي ؟

فيديا : لو ظهرت هذه العواطف عند فتاة من عالمنا ، فتاة تضحّي بكل شيء من أجل الرجل الذي تحبّه ! . . . لكنها ظهرت عند غجرية تربّتْ على التفكير في الربح وحده . . . حب مجرّد من المنفعة ! إنها تعطي كل شيء ولا تطلب شيئاً . . . هذا التناقض هو المدهش ! . . .

بيتوشكوف: نعم ، هذا ما يُسمّى في التصوير نسبة الأضواء والظلال : فلكي نحصل على الأحمر القاني ، ينبغي أن نضع اللون الأخضر حوله . لكن ليس هذا هو الموضوع ... فهمتُ .

فيديا : يبدو لي أن هذا هو العمل الصالح الوحيد الذي عملتُه ... العمل الذي وضعتُ فيه روحي ؛ لم أستغل حبّها . أتعلم لماذا ؟

بيتوشكوف: لماذا ؟ بدافع الشفقة ؟

فيديا : اوه ! لا ، لم أكن أحسُّ بالشفقة نحوها ، بل بالإعجاب دائماً . وعندما كانت تغنّي ، كما تغني الآن على الأرجح ، كنت مفتوناً بها . لم أشأ أن أجرّها إلى السقوط لأن حبّي لها كان حقيقياً وقويّاً ! وتلك ذكرى عذبة الآن ، ذكرى عذبةٌ جداً .

(يشرب)

بيتوشكوف: اوه ! فهمت ! ... كان حباً مثالياً ! . . .

فيديا : اصغِ إلى ما سأقولهُ لك ... وقعتْ لي في حياتي أهواء . عشقتُ امرأةً جميلة ، ذات مرة ، عشقاً شديداً ، وعشقاً حيوانياً ... ضربتْ لي موعداً فلم أذهب إليه لأني لم أشأْ أن أتصرّف بنذالة مع زوجها . والمدُهش الآن ، أني عندما أفكر في ذلك قاصداً السرور لأني تصرفتُ بأمانة ، أشْعرُ بالندم ، كما أندم على الخطيئة ... أما مع ماشا فالأمر على عكس ذلك . . . أنا سعيد ، وفَرِحٌ لأني لم أدنّس عاطفتي . قد أسقط سقوطاً أكبر إلى الحضيض ، وقد أبيع نفسي ، وقد يغطّيني القمل والجرب ، لكن هذه الجوهرة ستَلْتمع أبداً ، إن شعاع الشمس فيَّ .

بيتوشكوف: وماذا تفعل هي الآن ؟

فيديا : لا أدري ولا أريد حتى أن أعرفه ! كل ذلك ينتمي إلى حياة أخرى لا أريد أن أقرنها بحياتي الحالية .

(تُسْمَعُ ، في صدر المسرح ، على طاولة ، صرخات امرأة . يأتي صاحب المطعم مع شرطي يقتادها : يجاس فيديا وبيتوشكوف وينظران ويستمعان وهما ساكتان) .

بيتوشكوف ، بعد أن عاد الهدوء : اوه ! حياتك مدهشة ٌ !

فيديا : لا ، إنها بسيطة ! ... فأمامنا جميعاً ، في وسطنا ، في الوسط الذي وُلدتُ فيه ، ثلاث طرقٍ فقط . الطريق الأولى أن يصبح المرءُ موظفاً ، وأن يربح المال وأن يزيد من دناءة الوسط الذي يحيا فيه ؛ وكنت أعاف ذلك ! ولعلي لم أكن قادراً على المضي في هذه الطريق ؛ لكنني كنتُ أعاف ذلك قبل كل شيء . الطريق الثانية هي الطريق التي تحارب فيها تلك الدناءة ؛ ولا بدّ من أجل ذلك أن يكون المرء بطلاً ، ولستُ ببطلٍ . بقيت الطريق الثالثة وهي : الشربُ والتهتّكُ والغناء ؛ وهذه هي الطريق التي اخترتُها وأنتَ ترى إلى أين قادتْني ! . . .

(يشرب) .

بيتوشكوف: والزواج ؟ لو كان لي امرأة صالحة لكنتُ سعيداً . . لقد دمّرتْ امرأتي حياتي .

فيديا : الزواج ! كانت زوجتي مثاليةً . وما تزال حيّةً . لكنْ ماذا أقول لك . أتعرف العنب الصغير الذي يوضع في شراب التفاح ليغدو فوّاراً ... كان غائباً ،لم يكن في حياتنا فوران...

كنتُ بحاجة إلى النسيان ؛ ثم بدأت بارتكاب النذالات . أنت تعلم أننا نحب الآخرين بمقدار إحساننا إليهم ، وأننا نكرههم بمقدار إساءتنا إليهم . وأنا قد أسأت إليها ! أما هي فيبدو لي أنها كانت تحبّني .

بيتوشكوف: لماذا يبدو لك ؟

فيديا : أقول هذا لأنه لم يكن فيها شيءٌ يهزّ روحي كما هو الحال مع ماشا . وشيءٌ آخر : هو أنها كانت حاملاً وكانت تغذّي ابنها ، وكنت أخرج من البيت وأعود ثملاً . ويقيناً أن حبي كان يتناقص شيئاً فشيئاً من أجل ذلك . (بنشوة) . نعم ، الأمرُ كذلك ، وأنا أراه بوضوح. وإذا كنتُ أحبُّ ماشا فلأني أحسنت إليها ولم أُسيءْ ! ... الأمرُ كذلك ، ولذلك أحبُّها . أما الأخرى ، فقد عذّبتُها ، لا لأنني لا أُحبّها ... بلى ، لأني لا أحبّها . كنتُ أغار ، صحيح ، لكن الغيرة سرعان ما زالت .

المشهد — ٢ —

« فيديا بيتوشكوف ؛ ارتيمييف يدنو ؛ شاربه مصبوغٌ ، عقدة تزينية ؛ ثيابه قديمة ومرقّعة » .

ارتيمييف : طابت شهيتكما ! (يحيّي فيديا) . هل تعرّفتَ إلى الفنان ، الرسّام ؟

فيديا ، ببرودة : نعم ، تعرّفتُ إليه .

ارتيميف ، لبيتوشكوف : وهل انتهيت من رسم الصورة ؟ ...

بيتوشكوف: لا ، ذلك لم يتمّ .

ارتيمييف : ألم أضايقكما ؟

(يظل فيديا وبيتوشكوف صامتين) .

بيتوشكوف: كان فيدور فاسيلييفيتش يقصّ عليّ حياتَه .

ارتيمييف : أسرار ؟ . . . ينبغي ألاّ أضايقكما . تابِعا ، فلستُ بحاجة إليكما . خنزيران !

(يذهب إلى طاولة مجاورة ويطلب جعة . وهو يصغي ، طوال الوقت ، إلى الحديث بين فيديا وبتيوشكوف ، مصيخاً بأذنه إليهما) .

فيديا : لستُ أحبُ هذا الرجل

بيتوشكوف: جرَحْناه .

فيديا : سيان عندي ! ذلك أقوى مني ، لا أستطيع الكلام بحضور إنسان مثل هذا ؛ أما معاك فالأمر مختلفٌ . ماذا كنتُ أقول ؟

بيتوشكوف: كنتَ تقول لي : إناك كنتَ تغار . فكيف انفصلْتَ عن زوجتاك .

فيديا : آه ! (متفكراً) . قصةٌ غريبة . امرأتي تزّوجت .

بيتوشكوف: هل تمّ الطلاقُ بينكما ؟

فيديا : لا ! (يبتسم) . إنها أرملتي .

بيتوشكوف: آوه ! وكيف ذاك ؟

فيديا : صحيح ، أرملتي ؛ أنا غيرَ موجود .

بيتوشكوف : لكن هذا مستحيل .

فيديا : بلى ، أنا جثة . (يميل ارتيمييف إليهما ويصغي بانتباه أكبر) . أستطيع أن أقص عليك أنت قصتي . على كل حال ، مضى زمن بعيد على ذلك ، وأنت لا تعرف كنيتي الحقيقية فاسمعْ ما جرى لي : عندما أحنقتُ امرأتي ، وعندما بدّدتُ كل ما كنتُ أملك وصرتْ شخصاً لا يُطاق ، جاء إلى زوجتي حام يحميها . لا تتصوّرْ شيئاً من الدناءة في ذلك . لا ، كان صديقاً لي ، كان رجلاً ممتازاً، مناقضاً لي من كل الوجوه . وكما أن فيَّ من السوء أكثر مما فيّ من الجودة ، كان هو رجلاً مستقيماً ، حازماً، منظّماً ؛ كانت كل الفضائل فيه . كان يعرف زوجتي ويحبّها منذ الطفولة ، وعندما تزوجتْني رضي بنصيبه ... لكن عندما صرتُ شقياً فيما بعد ، وحمّلتُها ما لا يطاق من الألم ... صار يكثر من تردّده على البيت ؛ أنا نفسي كنتُ أجذبُه إليه . وأخذتْ زوجتي تحبُّ صديقَها القديم ؛ في هذه اللحظة ، سقطتُ في الحضيض ، وأنا الذي تركتُ زوجتي ... ثم جاءت ماشا ، وأنا نفسي الذي اقترح عليهما الزواج ؛ لم يرْضيا ، وازددتُ سوءاً وصرتُ لا أُطاق ، وانتهى الأمرُ بـ ...

بيتوشكوف : كما ينتهي دائماً .

فيديا : لا ، أنا على يقين من ذلك . أعرف ذلك فعلا ، لقد بقيا نقيّين . فهو رجلٌ متديّن يعْتبرُ الزواج بدون مباركة

الكنيسة خطيئة . إذن رغبا في الزواج وطلبا موافقتي . كان ينبغي لي أن أتحمل مسؤولية الخطأ وأن أمرّ بكل تلك الأكاذيب ، فلم أستطع . أتصدّق أن قتل نفسي كان أسهل عليّ من الكذب ! وكدت أقدمُ على ذلك لولا أن صديقاً عطوفاً قال لي : وما جدوى ذلك ؟ حينذاك رتّبنا الأمور . أرسلتُ رسالة وداع ، وفي اليوم التالي وُجِدتْ ، قرب النهر ، ثيابي ومحفظتي ورسائلي ... وبما أنني لا أحسنُ السباحة . . .

بيتوشكوف: والجثة ؟ فبما أنه لم يُعْثَرْ عليها ؟

فيديا : تصوّرْ أنهم عثروا عليها . لقد عثروا بعد أسبوع على جسم ما . . . ورجوا زوجتي أن تأتي لتفحصه ... كان الجسم مشوّهاً ... فألقت عليه نظرةً : « أهذا هو ؟ ... نعم هذا هو » . وظلّ كل شيء هنا . وقد تزوّجا وهما يعيشان الآن سعيدين جداً . أما أنا ، فكما تراني ، أحيا وأشرب . البارحة بالذات ، مررتُ بالقرب من منزلهما . كانت النوافذ مضيئةً ... ومرّ على الستائر ظلٌّ امرأة ... ذلك قاسٍ أحياناً ... وأحياناً أخرى تكون الأمور مقبولةً ... لكن أقسى ما في الأمر أن أخلو من النقود .

(يشرب) .

ارتيمييف ، يدنو : عفواً ... سمعتُ قصتك ... وهي قصةٌ مثيرةٌ جداً ، في الواقع ، ونافعةٌ على الخصوص ... قلت قبل

قليل أن أقسى ما في الأمر أن يخلو المرءُ من النقود . لكنك أنت ، في وضعك الحالي ، لا ينبغي أن تخلو من المال . لأنك جثة ... ما رأيك ؟

فيديا : اسمعْ ! أنا لم أحدّثك أنت ! ... ولا حاجة بي إلى نصائحك .

ارتيمييف : لكنني حريصٌ على أن أقدّم لك هذه النصائح . أنت جثةٌ ، لكن بما أنك حيّ فما وضع السيدة زوجتك والسيد الآخر اللذين يعيشان سعيدين ؟ إنها متزوّجة بأكثر من زوج ، وأقلّ ما يصيبهما أن يُنْفيا إلى سيبيريا . لماذا إذن تخلو من المال ؟

فيديا : أرجوك أن تدعني وشأني .

آرتيمييف : اكتبْ إليهما رسالةً فقط ، أو بالأحرى دعْني أكتب إليهما ... أعْطِني العنوان ... ولن تنساني بعد ذلك .

فيديا : أقول لك مرةً أخرى ، انصرفْ ، فأنا لم أقلْ لكَ شيئاً .

ارتيمييف : لا ، لقد قلتَ ذلك بصوت مرتفع ، هذا شاهد . لقد سمعك الخادمُ تقول : إنك جثّة .

الخادم : لم أسمع شيئاً .

فيديا : يا نَذْل

ارتيمييف : أنا ، نذل ؟ . يا شرطي ! المحضر ! ...

(ينهض فيديا ويهم بالانصراف . يوقفه ارتيمييف . يصل الشرطي) .

اللوحة الثانية

« في الريف ؛ سطح مغطّى باللبلاب » .

المشهد — ١ —

آنا دميتّريفنا ، ليزا (حامل) ، ميشا ، المرضع .

ليزا : وصلَ القطارُ . وسيصلُ بعد هينهة .

ميشا : مَنْ الذي سيأتي ؟

ليزا : بابا .

ميشا : بابا سيأتي .

ليزا : **غريب كم يحبه . . . تماماً كأبيه .**

آنا دميتريفنا : أحسن . وهل يتذكّر أباه الحقيقي ؟

ليزا ، متنهدةً : لم أقل له الحقيقة بعد . فتارة أرى أنني لا ينبغي أن أخبره بذلك ، وتارة أخرى أظنّ أنني ينبغي أن أقول له كل شيء . ما رأيكِ ، يا أمي ؟

آنا دميتريفنا : أعتقد ، يا ليزا ، أن المسألة مسألة عاطفة . اصغي إلى قلبك ، وسيقولُ لك كيف ومتى تتكلّمين . غريب كم يُهدّئ الموت ! جاء وقتٌ بدا لي فيه فيديا الذي كنت أعرفه منذ الصغر ، كريهاً . أما الآن ، فأنا أتذكّره كما أتذكر شاباً فاتناً ، صديقاً لفيكتور ، مشبوبَ العاطفة ، ضحى بحياته في سبيل من يُحب ، وإن عمل ضد القانون والدين . ومهما يُقَلْ ، فان عماه نبيل ! أرجو ألا ينسى فيكتور أن يأتيني بالصوف . لقد نفد ما عندي منه .

(تَحيك) .

ليزا ، ها هو ذا يصل (يُسْمع صوت العجلات والأجراس ، تنهض وتقترب من حافة السطح) . مَنْ معه ؟ ألمح قبّعة امرأة في العربة ! ... آه ! ماما !مضى دهرٌ ولم أرك .

(تتّجه إلى الباب . يدخل كارينين وآنا بافاوفنا) .

المشهد — ٢ —

« الأشخاص أنفسهم ، ثم كارينين وآنا بافاوفنا » .

آنا بافلوفنا ، مقبّلةً ليزا وآنا دميتريفنا : لقينَني فيكتور وجاء بي معه .

آنا دميتريفنا : أحسنَ صنعاً .

آنا بافلوفنا : رأيتُ فيكتور في الشارع ، فقلتُ في نفسي : هذه مناسبة لزيارتهم ، هذه الزيارة التي طالما أجّلتها » . وها أنا قد جئتُ . وإذا لم تَصْرفوني فسأبقى حتى قطار المساء .

كارينين ، مقبّلاً زوجته وأمه وميشا : اوه ! ما أعظم سعادتي ! هنّئوني . لا حاجة بي إلى الذهاب إلى المدينة غداً .

ليزا : ما أحسن هذا ... يومان ! هذا لا يحدث كثيراً ! سنقوم برحلة صغيرة إلى الدير ، أتريد ؟

آنا بافلوفنا ، تنظر إلى الطفل : ما أَشْبَهه بأبيه ! وما أقواه ! بشرط ألا يرث عن أبيه غير القلب ! . . .

آنا دميتريفنا : لا ضعْفَه ! ...

ليزا : كل شيء كل شيء ! فيكتور من رأيي أيضاً . لو أن أباه لقي فقط التوجيه الحسن منذ الطفولة .

آنا بافلوفنا : لا أفهم ما تقولينه . لكنني قلما أستطيع التفكير فيه دون أن أبكي .

ليزا : ونحن كذلك . كم عَظُمَ في ذاكرتنا !

آنا بافلوفنا : لا شك في ذلك .

ليزا : كيف بدا ذلك كلُه ، في لحظةٍ من اللحظات ، مستعصياً على الحل ، وكيف حُلَّ ذلك كلّه فجأةً .

آنا دميتريفنا : هل حمَلْتَ صوفاً معك ، يا فيكتور ؟

كارينين : طبعا ، حماتُ كل شيء (يأخذ الكيس ويُفْرغه) . هو ذا الصوف ، وماء الكولونيا ، والرسائل . وهذه رسالةٌ من المحكمة لكِ (يمد إليها الرسالةَ) . حسناً ! سأقودك إلى غرفتك ، يا آنا بافلوفنا . ويجب أن أنظّف نفسي قبل العشاء . ليزا ، أليست الغرفة التي تحت ، في الزاوية ، هي التي ينبغي أن نعطيها آنا بافلوفنا ؟ (ليزا تتناول الورقة وتقرأ ، وهي ممتقعة ، مرتجفة اليدين) . ليزا ، ما بكِ ؟ ما هذه الورقة ؟

ليزا : آوه ! ياإلهي ! هو حيّ ! متى سأتخلّص منه ؟ ما معنى هذا ، فيكتور ؟

(تنتحب) .

فيكتور ، يأخذ الورقة ويتصفّحها : هذا فظيع !

آنا دميتريفنا : ماذا ؟ قلْ لي .

فيكتور : هذا فظيع . هو حي . وهي متزوجةٌ من اثنين . وأنا

مجرم . هذا أمر من قاضي التحقيق يُنذر ليزا بالمثول بين يديه .

آنا دميتريفنا : يا له من رجل رهيب ! لمَ فَعَلَ ذلك ؟

فيكتور : كل شيء كذبٌ ... كذب ...

ليزا : اوه ! كم أكرهه ! لم أعدْ أعلم ماذا أقول .

(تخرجُ باكية . يتبعها كارينين) .

آنا بافلوفنا : لكنْ كيف ظلّ حيّاً ؟

آنا دميتريفنا : كنت أعلم جيداً ، منذ أن اختلط فيكتور بهؤلاء الناس، أنهم سيجرّونه إلى الوحل . وقد حدث ما توقّعْتُه . كل شيء كذب ، كذب .

ستار

الفصل السادس

اللوحة الأولى

مكتب قاضي التحقيق

المشهد ــ ١ ــ

« القاضي ، ميانيكوف ، أمين السر » :

« القاضي يجلس إلى طاولته ويتحدّث هو وميانيكوف . أمين السر يجلس إلى جانبه مستغرقاً في أوراقه » .

القاضي : لكني لم أقل لها قط شيئاً من هذا القبيل . هي التي اخترعتْ ذلك ، وهي التي تُنْحي عليّ باللائمة !

ميلينكوف : هي لا تلومك على شيء . وإنما هي حزينة .

القاضي : هيّا ، سآتي للعشاء . والآن عندي قضية مثيرةٌ للاهتمام ، وعليّ أن أحقـّق فيها . (لأمين السر) أدْخلْهما

أمين السر : الاثنين معاً ؟

القاضي ، يلقي بسيجارته : لا ، السيدة كارينين وحدها ، أو على الأصح ، السيدة بروتا سوف ، باسم زوجها الأول .

ميلنيكوف ، وهو منصرفٌ : عجباً ، أهي السيدة كارينين ؟

القاضي : آه ! هذه قضية قذرة ... ما تزال في بدايتها ، لكنها تبدو سيئة . والتحقيق فيها كريه . هيا .

المشهد — ٢ —

« القاضي ، تدخل ليزا في ثوب أسود ، وعلى وجهها نقاب » .

القاضي : تفضّلي بالجلوس . (يشير إلى كرسي) . صدّقي أنني آسف كثيراً لاضطراري إلى استجوابك ، لكنه واجبي . لا تضطربي واعلمي أن لك الحق المطلق ألا تُجيبي عن أسئلتي . ومع ذلك فانا مقتنعٌ بأن من الخير لكِ وللآخرين جميعاً أن تقولي الحقيقة ببساطة . هذا أفضل دائماً وأيسر .

ليزا : ليس عندي ما أُخبئه .

القاضي : حسنٌ . (ينظر إلى أوراقه) . كتبتُ من قبل اسمك وصفتك ودينك . انظري إن كان ذلك صحيحاً ؟

ليزا ، تقرأ الورقة ؛ نعم .

القاضي : أنتِ متهمة بأنك تزوّجتِ رجلاً آخر ، مع أن زوجك حيٌّ ، وأنك تعلمين ذلك . . .

ليزا : ما كنتُ أعلم أن زوجي حيّ .

القاضي : أنتِ متّهمةٌ أنك حرّضْتِ بالمال زوجك على التظاهر بالانتحار من أجل التخلّص منه .

ليزا : كل هذا غيرُ صحيح .

القاضي : اسمحي لي إذن أن أطرح عليكِ بعض الأسئلة . هل أرسلت في شهر تموز من العام الماضي ألفاً ومائتي روبل لزوجك ؟

ليزا : هذا المال ملكُه لأنه جاء من بيع أغراضه . أرسلتُه إليه عندما افترقْنا . وكنت أنتظر الطلاقَ إذ ذاك .

القاضي : لنقبلْ بذلك . أُرْسِلَ هذا المال في ١٧ ، أي قبل اختفائه بيومين .

ليزا : من الممكن أن يكون ذلك في ١٧ ؛ لستُ أذكر .

القاضي : لماذا سحبتِ طلباك من المجمع الديني ورفضتِ خدمات محاميك ، في تلك اللحظة ، وفي آنٍ واحد ؟

ليزا : لا أدري . . .

القاضي : طيّب ، عندما دعتْكِ الشرطةُ إلى رؤية الجثة ، كيف جرى أن عرَفْتِ أنها جثة زوجك .

ليزا : كنتُ مضطربة اضطرابا شديداً حتى إني لم أكد أرى ... ثم إني كنت مقتنعة بأنه هو ، وعندما سُئلتُ أجبت أنه يبدو لي ذلك .

القاضي : نعم . . . لم تنظري إليه جيداً بسبب انفعالك ، وهو أمرٌ يسهلُ فهمُه ، على كل حال . جيّد . لكنْ أتريدين أن تقولي لي لماذا ظللتِ ترسلين في كل شهر مبلغاً من المال إلى ساراتوف ، وهي بالضبط المدينة التي كان يعيش فيها زوجُكِ ؟

ليزا : زوجي هو الذي كان يرُسل هذا المال ، ولا أستطيع أن أعيّن لك الجهة التي يذهبُ إليها ؛ ليس هذا سراً من أسراري . لكن هذا المال لم يكن مُرسَلاً إلى فيدور ،

فاسيليييفيتش . لأننا كنا واثقين من أنه ميت . أستطيع أن أؤكد لك ذلك .

القاضي : جيد . اعلمي ، يا سيدتي ، أننا وإن كنّا خدّام القانون ، فنحن بشرٌ مع ذلك ، وصدّقي أنني أفهم جيداً وضعاك وأشاركاك مصابك . كنتِ مرتبطة برجلٍ يُبدّد ثروته ، ويخدعك ، ويجرّ الشقاء على . . .

ليزا : كنتُ أحبّه .

القاضي : نعم ، لكن من الطبيعي مع ذلك أن تكوني قد أردتِ التخلّص منه مختارةً هذه الوسيلة البسيطة جداً ، دون أن يخطر لكِ أنها تقودك إلى ما يُعتَبَرُ جريمةً : إلى الزواج باثنين . . أنا أفهم ذلك ، وأنا مقتنعٌ بأن هيئة التحكيم تفهم أيضاً . . . ولذلك أنصحكِ أن تعترفي بكل شيء .

ليزا : ليس لديّ ما أعترفُ به . . . ولم أكذبْ قط . (تشرع في البكاء) . ألم تعدْ بحاجة إليّ ؟

القاضي : أطلبُ إليكِ أن تبقَيْ لحظة أخرى . آوه ! لن أضايقك بأسئلتي . تفضّلي واقرئي شهادتك ووقّعي عليها . وانظري هل حُرّرت أجوبتُك تحريراً صحيحاً . . . اجلسي هنا ... (لأمين السر) . أدخلْ السيد كارينين .

(يدخل كارينين وقوراً ، رسمياً) .

المشهد — ٣ —

« الأشخاص أنفسهم ، كارينين » .

القاضي : تفضّلْ بالجلوس ، أرجوك .

كارينين ، واقفاً : ماذا تريدَ مني ؟

القاضي : أنا مُضطرٌ إلى استجوابك .

كارينين : بأية صفة ؟

القاضي ، مبتسماً : أنا بصفتي قاضي التحقيق ؛ أما أنتَ فيجب أن آخذ شهادتك بصفتك متّهماً .

كارينين : متّهماً بماذا ؟

القاضي : بعقد الزواج مع امرأة متزوّجة . . . على كل حال ، اسمحْ لي أن أطرح عليك الأسئلة بترتيبها ، اجلسْ .

كارينين : شكراً .

القاضي : اسمك ؟

كارينين : فيكتور كارينين .

القاضي : صفتك ؟

كارينين : حاجب في البلاط الامبراطوري . مستشار دولة حالي . ثمانية وثلاثون عاماً .

القاضي : دينك ؟

كارينين : اورثوذوكسي . لم أكن متّهماً أو ظنيناً قط . وبعد ذلك ؟

القاضي : أكنتَ تعلم أن فيدور فاسيلييفيتش كان حياً عندما عقدت الزواج مع امرأتك ؟

كارينين : لا ، لم أكن أعلم . كنا مقتنعيْن نحن الاثنين بأنه غرق .

القاضي : لمِنْ كنت ترسل المال كل شهر إلى « ساراتوف » ، بعد موت بروتاسوف المزعوم ؟

كارينين : لا أرغبُ في الجواب عن هذا السؤال .

القاضي : جيّد . ما الغاية من إرسال الف ومائتي روبل إلى السيد بروتاسوف في ١٧ تموز ، قبل تمثيلية موته بالضبط ؟

كارينين : هذا المال سلّمتْني إياه زوجتي .

القاضي : السيّدة بروتاسوف ؟

كارينين : سلّمتْني إياه زوجتي ليُرسَلَ إلى زوجها . كانت تعتبر هذا المال ملكاً له وترى من غير العدل أن تحتفظ به بعد أن قطعتْ كل علاقاتها بزوجها .

القاضي : سؤالُ أيضاً . لماذا أوقفْتَ مساعيك للحصول على الطلاق ؟

كارينين : لأن فيدور فاسيليفيتش تكفّل بذلك كما كتب لي .

القاضي : هل احتفظْتَ بهذه الرسالة ؟

كارينين : لا ، أضعتُها .

القاضي : من الغريب أن كل ما يمكن أن يُقنع القضاءَ بصحة شهاداتكما ضائعٌ أو غير موجود .

كارينين : ماذا يلزمك أيضاً ؟

القاضي : يلزمني أن أقوم بواجبي ، وأنت يجب أن تُبرّىءَ نفسك . لقد نصحتُ السيدة بروتاسوف قبل قليل بما أنصحكَ به الآن ، أي ألاّ تخفي ما هو واضحٌ بالنسبة إلى الجميع ، وأن تروي كيف جرتْ الأمور ؛ أحثّك على ذلك ، ولا سيما أن السيد بروتاسوف هو في وضع اعترف فيه

بكل شيء وأنه سيكرّر الحقيقة أمام القضاة . أنصحك إذن . . .

كارينين : وأنا أنصحك أن تظلّ ضمنَ حدود وظيفتك . أما نصائحك فأنا في غنى عنها . أنستطيع الذهاب ؟

(يقترب من ليزا ويمسك بذراعها) .

القاضي : أنا آسف لاضطراري إلى احتجازكما (كارينين يلتفت بدهشة) . اوه ! لا في حالة توقيف ، لا ... ومع أن هذا التدبير يُسهِّل البحث عن الحقيقة إلا أنني لا أريدُ أن ألجأ إليه . أرغب فقط أن أستجوب ، بحضوركما ، السيد بروتاسوف وأقاربكما به ، لكي يسْهل عليكما إقناعه بكذبه . اجلسا ، أرجوكما . (لأمين السر) . ادعُ السيد بروتاسوف .

(يدخل فيدور ، وسخاً ، خائر القوى تماماً) .

المشهد — ٤ —

« الأشخاص أنفسهم ، وفيديا »

فيديا ، ملتفتاً إلى ليزا وكارينين : اليزافيتا اندريفنا ... فيكتور .... ليست الغلطة غلطتي ... أردتُ أن أحسن صنعاً ... وإذا كنتُ أُسيء إليكما ... فسامحاني ... سامحاني ...

(ينحني كثيراً أمامهما) .

القاضي : أرجوك أن تجيب عن أسئلتي .

فيديا : اسألْ .

القاضي : اسماك ؟

فيديا : لكنك تعرف اسمي .

القاضي : أرجوك أن تجيب .

فيديا : فيدور بروتاسوف .

القاضي : صفتك ، دينك ، سنك ؟

فيديا ، بعد صمت : ألا تستحي من سؤالي عن هذه الحماقات ؟ اسألني عن شيء نافع لا عن هذه البلاهات .

القاضي : أرجوك أن تكون أكثر تحفّظاً في عباراتك وأن تجيب عن أسئلتي .

فيديا : إذا كنت لا تخجل من ذلك ، فهذا هو الجواب : الصفة ، مُجاز ؛ العمر ، أربعون عاماً ؛ الدين ، ارثوذكسي . . . ثم ماذا ؟ . . .

القاضي : هل كان السيد كارينين وزوجتك يعلمان أنك حي عندما اختفيتَ ، بعد أن تركتَ ثيابك على حافة النهر ؟

فيديا : لا ، بالتأكيد ... كنت أنوي ، في الواقع ، أن أقتل نفسي ، لكن بعد ذلك . . . على كل حال ، ما الفائدة من حكاية ذلك كله ... المهم أنهما لم يكونا يعلمان أنني حيّ .

القاضي : لم قلتَ عكس ذلك لضابط الشرطة ؟

فيديا : أي ضابط شرطة ؟ ... آه ! عندما جاء إلى الملجأ الليلي ؟ ... كنت سكران وكنت أكذب ... لا أذكر ما قلتُ ...

كل ذلك ... كان هزْلاً ... وأنا الآن لستُ سكران ،
وأنا أقول الحقيقة . لا ... أُقسم لك أنهما لم يكونا يعلمان
شيئاً .... كانا يظنّانني ميتاً وكنتُ مسروراً بذلك . كان
الأمر سيظل مجهولاً لولا هذا النذل آرتيميييف الذي وَشى
بي ... وإذا كان ثمّةَ من مجرم فهو أنا ، أنا وحدي .

القاضي : أفهمُ أنك تريد أن تظهر بمظهر الكريم ، لكن القانون
يتطلّب الحقيقة ... لمَ أرسلوا إليك المال ؟ (يسكت
فيديا) . أكنتَ تتلقّى المال بواسطة ايغفينييف في ،
ساراتوف ؟ (يسكت فيديا) . لمَ لا تجيب ؟ سنضع في
المحضر أن الظنين لم يجب عن هذه الأسئلة . وهذا قد
يضرُّ بك وبها . ماذا قررتَ إذنْ .

فيديا ، بعد صمت : كيف لا تستحي ، يا سيدي القاضي ... لماذا
تتدخّل في حياة الآخرين ... أنتَ مسرورٌ لأنك في السلطة ،
وتستغل ذلك لتعذّب ، جسدياً ونفسياً ، أناساً هم أفضل
منك ألف مرة وأجدر بالاحترام .

القاضي : أرجوك . . . .

فيديا : لا فائدة من الرجاء ، سأقول لكَ ما أفكّر فيه . (لأمين
السر) . وأنتَ ، اكتبْ . فلأول مرة سيحوي محضرٌ
كلاماً معقولاً . (يرفع صوته) . كان في العالم ثلاثة
أشخاص أنا ، هو ، هي . كانت علاقاتهما معقّدةً ،
كانت صراعاً بين الخير والشر ، صراعاً أخلاقياً لا يمكنك
أن تكوّن لنفسك فكرة عنه . وقد انتهى هذا الصراع

بوضع حلّ كلّ شيء ، وكان برداً وسلاماً علينا جميعاً . فقد أصبحا سعيدين ، يحب كل منهما الآخر ، وقد نسياني . وأصبحتُ أنا ، في سقوطي ، سعيداً لأنني أحسنتُ صنعاً ، ولأنني ، أنا ، ذلك الشقي ، قد اختفيت لكي لا أضايق اللذيْن يفيضان حياةً ويعيشان حياةً شريفة ؛ وبالاختصار ، كنا جميعاً نحيا . وإذا بشقيّ يصل ، نصّاب يطلب مني أن أشارك في السمسرة ؛ فأطردُه ... حينذاك توجّه إليك ، أنتَ المدافعَ عن العدل ، وحامي الأخلاق . وأنت الذي يقبض بعض الفلوس عن كلٍّ من أعمالك القذرة ، ترتدي بزّتك وتتحدّانا ، وأنت خليّ القلب ، تتحدانا نحن الذين لا تستحق أن تفكّ سيور أحذيتهم ، نحن الذين لا نقبلك في مداخل بيوتنا ! . . . لكنك في الوضع الذي يتيحُ لك إيذاءنا ، وأنت مسرور ....

القاضي : سآمر بطردك .

فيديا : لستُ أخشى أحداً ، لأني لستُ سوى جثة . وليس بوسعك أن تفعل شيئاً بي . فلا وضعَ أسوأ من وضعي . مُرْ بطردي إذا شئتَ .

كارينين : أنستطيع أن نذهب ؟

القاضي : في الحال ، بعد توقيع المحضر .

فيديا : كم كنتَ ستكون مضحكاً لو لم تكنْ بغيضاً !

القاضي : إني أوقفُكَ ... ليُقتَدْ .

فيديا ، **لكارينين وليزا** : سامحاني .

كارينين ، يتقدّم ويشدّ على يده : لا شك أن الأمور كما ذكرتَ .

(تخرج ليزا . ينحني فيديا أمامها بخشوع) .

اللوحة الثانية

« رواق في قصر العدل . في الصدر ، بابٌ مزججٌ ، يقف الحاجب بقربه . إلى اليمين ، بابٌ آخر يمر به الأظنّاء . يدنو إيفان بيتّروفيتش ، بثياب رثة ، من الباب الذي إلى اليمين . يريد أن يمرّ » .

« الحاجب ، ايفان بيتّروفيتش ، ثم المحامي ، الأمير ابريسكوف ، بيتوشكوف ، فيديا ، بيتّروشين ، ليزا ، ماشا ، الجمهور » .

الحاجب : إلى أين تذهب ؟ الدخول ممنوع .

ايفان بيتّروفيتش : ولمَ ذاك ؟ الجاساتُ عامةٌ بحسب القانون .

(يُسْمَعُ التصفيق) .

الحاجب : ممنوع والسلام ... لا يُسْمَح بالدخول .

ايفان بيتّروفيتش : قليل الأدب ! ألا تعرف مع من تتكلّم ؟

(يدخل محام شاب ، بثوب الجاسة) .

المحامي ، لايفان بيتّروفيتش : أأنتَ معنيٌّ بالقضية ؟

ايفان بيتّروفيتش : لا ! أنا من الجمهور . لكن هذا الحارس الفظ لا يدعني أدخل .

المحامي : ليس هذا مدخل الجمهور ... انتظرْ لحظةً ، فسوف تُرْفَعُ الجاسة .

(يبتعد فيصادف الأمير ابريسكوف) .

ايفان بيتروفيتش : أعلمُ ذلك . لكن يمكن أن يدعني أدخل .

الأمير : أتستطيع أن تقول لي : إلى أية نقطة وصلت القضية ؟

المحامي : إلى مرافعات المحامين . هذا بيتروشين الذي يرافع .

(يُسْمَع التصفيق مرة أخرى) .

الأمير : وكيف يتصرف الأظنّاء ؟

المحامي ، بكثير من الوقار . ولا سيما كارينين واليزافيتا اندريفنا . يحسُّ المرءُ أنهما ليسا متهمين ، وإنما هما اللذان يحكمان على المجتمع . الجميع أحسّوا بذلك . وهذا هو موضوع مرافعة بيتروشين .

الأمير : وبروتاسوف ؟

المحامي : هو في أقصى التهيّج . إنه يرتجف طوال الوقت . لكن هذا مفهوم مع الحياة التي عاشها . وقد قاطع النائبَ العام والمحامين عدة مرات . وهو في حالة من العصبية الغريبة .

الأمير : وما النتيجة ، في رأيك ؟

المحامي : من الصعب التنبؤ . فهيئة التحكيم خليطٌ متنوّع . على كل حال سيُستَبْعَد سبقُ التصميم ؛ ومع ذلك ... (يخرج سيد ، يتقدّم ابريسكوف نحو الباب) . أتريد أن تدخل ؟

الأمير : نعم ، أود ذلك .

المحامي : أنتَ الأمير ابريسكوف ، أليس كذلك ؟

الأمير : نعم .

المحامي ، للحاجب : دعْهُ يمرّ (للأمير) في الجانب الأيسر ستجد كرسياً خالياً .

(يُفتَح الباب ، وبينما يدخل الأمير ، يُسمَعُ المحامي وهو يرافع)

ايفان بيتروفيتش : هؤلاء ارستقراطيون ! لكنّي أنا أرستقراطي بالفكر ، وهذا أعلى .

المحامي : عفواً . . .

(يخرج مسرعاً) .

بيتوشكوف ، داخلاً ! آه ! صباح الخير ! أهذا أنتَ ، ايفان ، بيتروفيتش ؟ أين وصلتْ القضية ؟

الحاجب : قلّلا من الضوضاء – لستما هنا عند بائع الخمور .

(يُسْمَعُ التصفيقُ أيضاً . وتُفْتح الأبوابُ فيخرج المحامون وجمهور السيدات والسادة) .

سيدة : ما أجمل ما قال . أثّر فينا حتى أبكانا .

ضابط : هذا أحسن من رواية . لكنّ مالا أفهمه هو كيف استطاعت أن تُحبّه . . . هذا الحقير !

(يُفْتح باب آخر ، ويخرج منه الأظنّاء . ليزا وكارينين أولاً اللذان يجتازان الرواق . ثم فيديا وحده) .

السيدة : اسكتْ ، ها هو ذا ! انظرْ إليه كم هو مضطربٌ !

(تخرج السيدة مع الضابط) .

فيديا ، يقترب من ايفان بيتروفيتش ، هل جئتَ به ؟

ايفان بيتروفيتش : ها هو ذا !

(يعطيه شيئاً) .

فيديا ، يضع الشيء في جيبه ويهمّ بالخروج . يشاهد المحامي : هذا الغبي ، التافه ، المضجر ، الأبله !

بيتروشين ، محام ، ضخم ، بثياب صارخة الألوان ، حَرِك ، يتقدّم نحو فيديا : يا صديقي ، امورُنا تسير على ما يُرام . على شرط ألا تُفسد كل شيء بكلماتك الأخيرة .

فيديا : لن أتكلم على الإطلاق . ماذا تريدأن أقول ؟ لا أريدأن أتكلّم .

بيتروشين : بلى . لا بدّ من ذلك . مهلاً ، لا تَقْلَق . قضيتنا رابحةٌ تقريباً الآن . قُلْ لهم فقط ما قُلْتَه لي ، أنا ؛ وإذا حكموا عليك فلأنك لم ترتكب الانتحار ، وهو عمل تصفه القوانين المدنية والكنسية بأنه جرم .

فيديا : لن أقول شيئاً .

بيتروشين : لماذا ؟

فيديا : لأني لا أريد . لن أتكلّم . قُلْ لي فقط ما أسوأ ما يمكن أن يقع .

بيتروشين : قلتَ لك ذلك من قبل : الحدّ الأقصى هو النفي إلى سيبيريا .

فيديا : مَنْ الذي سيُنْفى ؟

بيتروشين : أنتَ وزوجتُك .

فيديا : والحدّ الأدنى ؟

بيتروشين : التوبة التي تَفْرضها الكنيسة ، وبالطبع ، حلّ الزواج الثاني .

فيديا : إذن سيقيّدونني بها مرة أخرى ، أو على الأصح ، سيقيّدونها بي ؟

بيتروشين : ما الحيلة ؟ لا يمكن أن يكون الأمرُ غير ذلك . لكنْ ، اهدأ ، وقلْ ، على الخصوص ، ما اتفقنا عليه ، لا أكثر . هيّا ، تعال . (في هذه اللحظة يلاحظ أن الناس يحيطون بهما ، ويستمعون إليهما) . أنا متعب ، سأستريح لحظة . استرحْ أنت أيضاً أثناء رَفْع الجلسة . المهم ألاّ تخاف .

فيديا : لا يمكن أن يكون هناك حل إذن غير هذين ؟

بيتروشين ، مبتعداً : لا حلّ آخر .

الحاجب : امضوا ، امضوا ، يا سادة ! لا تَزْحموا الرواق !

فيديا : على الفور ... (يُخرج مسدّساً ويطلق رصاصة على قلبه . يُهرَع الجميع) . لا أهمية لذلك . . كل شيء يسير إلى الأفضل ... لتُدْعَ ليزا ! . . .

(يُهرَع الجمهور من الأبواب جميعاً ، كما يُهْرَع القضاةُ ، والأظناء ، والشهود ، ليزا في المقدمة ، وخلفها تُرى ماشا ، ويُرى كارينين وايفان بيتروفيتش والأمير ابريسوف) .

ليزا : مادا فعلتَ ، يا فيديا ! لماذا ؟

فيديا : سامحيني . . . لأني لم أستطع . . . أن أحرّركِ . . . ليس

هذا من أجلكِ . . . هذا أفضلُ لي أيضاً ... بما أني كنت جاهزاً . . .

ليزا : ستَحْيا ! ...

(ينحني طبيب ويتنصت لقاب فيديا) .

فيديا : لا حاجة بي إلى الطبيب لأعرف حالتي ... وداعاً ، فيكتور . . . وصلتْ ماشا بعد فوات الأوان ! (يبكي) . ما أعظم راحتي ! ... ما أعظمَ راحتي ...

(يموت)